

من مطبوعات الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

شرح العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام ابن تيمية

تأليف الأستاذ

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

راجع الأستاذ الكبير

عبد الرزاق عفيفي

رئيس جامعة المدينة المنورة

توزيع وإهداء

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الطبعة الرابعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا اله الا الله قيوم السموات
والارضين وأصلى وأسلم على رسوله محمد خاتم الانبياء والمرسلين
وبعد : فكتاب شرح العقيدة الواسطية لفضيلة الاستاذ الشيخ
محمد خليل هراس من أنفس الشروح ، وأوضحها بيانا وأخصرها
عبارة ، الا انه وقع في الطبعة الاولى بعض أخطاء استدركت في
الطبعة الثانية بارشاد سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ مفتي
المملكة العربية السعودية ، جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا
وبذلك كانت هذه الطبعة ممتازة عن سابقتها . أسأل الله أن ينفع
بها وبشرحها المسلمين .

عبد الرازق عفيفي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ،
والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، نبينا محمد ، عبد الله
ورسوله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

(اما بعد) فلما كانت العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن
تيمية رحمه الله من اجمع ما كتب في عقيدة اهل السنة والجماعة
مع اختصار في اللفظة ودقة في العبارة ، وكانت تحتاج في كثير من
مواضعها الى شرح يجلى غوامضها ويزيح الستار عن مكنون
جواهرها ، ويكون مع ذلك شرحا بعيدا عن الاسهاب والتطويل
والاملال بكثرة النقول حتى يلائم مدارك الناشئين ويعطيهم زبدة
الموضوع في سهولة ويسر .

فقد استخرت الله تبارك وتعالى ، واقتدبت على هذا العمل
رغم كثرة الشواغل وزحمة الصوارف ، سائلا الله عز وجل ان
ينفع به كل من تراه وان يجعله خالصا لوجهه انه قريب مجيب .

محمد خليل الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اختلفت العلماء في البسمة ، هل هي آية من كل سورة افتتحت بها ، او هي آية مستقلة أنزلت ، للفصل بها بين السور ، وللتبرك بالابتداء بها ، والمختار القول الثاني .

واتفقوا على انها جزء آية من سورة النمل وعلى تركها في أول سورة براءة لانها جعلت هي والاتفال كسورة واحدة .

والباء في بسم للاستعانة ، وهي متعلقة بحذوف قدره بعضهم فعلا وقدره بعضهم اسما ، والقولان متقاربان وبكل ورد القرآن قال تعالى (اقرا باسم ربك) وقال (باسم الله مجريها) .

ويحسن جعل المقدر متأخرا ، لان اسم احق بالتقديم ولان تقديم الجار والمجرور يفيد اختصاص الاسم الكريم بكونه متركبا به ، والاسم هو اللفظ الموضوع لمعنى تعييننا له او تمييزا .

واختلف في اصل اشتقاقه ، فقول انه من السمة بمعنى العلامة وقيل من السمو وهو المختار وهزته همزة وصل ، وليس الاسم نفس المسمى كما زعم بعضهم ، فان الاسم هو اللفظ السدال ، والمسمى هو المعنى المدلول عليه بذلك الاسم .

وليس هو كذلك نفس التسمية فانها فعل المسمى ، يقال سميت ولدى محمدا مثلا .

وقول بعضهم ان لفظ الاسم هنا مقحم لان الاستعانة انها تكون بالله عز وجل لا باسمه ، ليس بشيء ، لان المراد ذكر الاسم الكريم باللسان كما في قوله (سبح اسم ربك الاعلى) أى سبحه ناطقا باسم ربك متكبا به ، فالمراد التبرك بالابتداء بذكر اسمه تعالى — واسم الجلالة ، قيل انه اسم جامد غير مشتق ، لان الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها ، واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له ، فهو كسائر

الاعلام المحضة التي لا تتضمن صفات تقوم بمسمياتها .

والصحيح انه مشتق ، واختلف في مبدأ اشتقاقه ، ف قيل من إِلَه
يَالَهُ الْوَهَّ وَالْأَهَّ وَالْوَهِيَّة . بمعنى عبد عبادة ، وقيل من إِلَه
بكسر اللام يَالَهُ بفتحها إِلَهًا اذا تحير ، والصحيح الاول ، فهو إِلَه
بمعنى مَالُوهُ اى معبود ، ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما : الله
ذو الإلهية والعبودية على خلقه اجمعين ، وعلى القول بالاشتقاق
يكون وصفا في الاصل ، ولكن غلبت عليه العلمية فتجرى عليه بقية
الاسماء اخبارا واوصافا ، يقال : الله رحمن رحيم سميع عليم ،
كما يقال : الله الرحمن الرحيم السخ .

والرحمن الرحيم اسمان كريمان من اسمائه الحسنى دالان على
اتصافه تعالى بصفة الرحمة ، وهى صفة حقيقية له سبحانه على ما
يليق بجلاله ولا يجوز القول بأن المراد بها لازمها كإرادة الاحسان
ونحوه كما يزعم المعطلة ، وسيأتى مزيد بيان لذلك ان شاء الله .

واختلفت في الجمع بينهما ف قيل المراد بالرحمن الذى وسعت رحمته
كل شئ في الدنيا ، لان صيغة فعلا تدل على الامتلاء والكثرة ،
والرحيم الذى يختص برحمته المؤمنين في الآخرة وقيل العكس .

وقد ذهب العلامة ابن القيم رحمه الله الى أن الرحمن دال على
الصفة القائمة بالذات ، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم ، ولهذا لم
يجيء الاسم الرحمن متعديا في القرآن ، قال تعالى (وكان بالمؤمنين
رحيما) ولم يقل رحبانا ، وهذا أحسن ما قيل في الفرق بينهما .

وروى عن ابن عباس انه قال : هما اسمان رقيقان أحدهما ارق
من الآخر ، ومنع بعضهم كون الرحمن في البسمة نعتا لاسم الجلالة
لانه علم آخر لله لا يطلق على غيره والاعلام لا ينعت بها .

والصحيح انه نعت له باعتبار ما فيه من معنى الوصفية فالرحمن

الْحَمْدُ لِلَّهِ

اسمه تعالى ووصفه ولا تنافي اسميته وصفيته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعا على اسم الله ، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورود الاسم العلم كقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) (الْحَمْدُ لِلَّهِ) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة عليّ فهو اقطع اتر محقوق البركة » وورد مثل ذلك في البسمة ولهذا جمع المؤلف بينهما عملا بالروايتين ولا تعارض بينهما فان الابتداء قسمان حقيقى واضافى والحمد ضد الذم يقال حمدت الرجل احمده حمدا ، ومحمدا ومحمدة فهو محمود وحמיד ، ويقال حمد الله بالتشديد اثنى عليه المرة بعد الاخرى وقال الحمد لله .

والحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختيارى ، نعمة كان او غيرها ، يقال حمدت الرجل على انعامه وحمدته على شجاعته ، واما الشكر فعلى النعمة خاصة ويكون بالقلب واللسان والجوارح قال الشاعر :

أَفَادَتْكُمْ النِّعْمَاءُ مِنْى ثَلَاثَةً يَدِي وَلِسَانِي وَالْقَلْبُ الْمُحِبُّ
وعلى هذا فبين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه ، يجتمعان فى الثناء باللسان على النعمة ، وينفرد الحمد فى الثناء باللسان على ما ليس بنعمة من الجميل الاختيارى ، وينفرد الشكر بالثناء بالقلب والجوارح على خصوص النعمة . فالحمد اعم متعلقا واخص آلة والشكر بالعكس .

واما الفرق بين الحمد والمدح فقد قال ابن القيم. ان الحمد اخبار عن محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه فلا بد فيه من اقتران الارادة بالخبر بخلاف المدح فانه اخبار مجرد ، ولذلك كان المدح اوسع

الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ .

تناولا لانه يكون للحى وللميت وللجناد أيضا .

وال فى الحمد للاستغراق ، ليتناول كل افراد الحمد المحققة والمقدرة وقيل للجنس ومعناه ان الحمد الكامل ثابت لله ، وهذا يقتضى ثبوت كل ما يحمد عليه من صفات كماله ونعوت جماله ، اذ مَنْ عَدِمَ صفات الكمال فليس بمحمود على الاطلاق ، ولكن غايته ان لا يكون محمودا من كل وجه وبكل اعتبار بجميع أنواع الحمد الا من حاز صفات الكمال جميعها .

الرسول فى اللغة هو من بعث برسالة . يقال ارسله بكذا ، اذا طلب اليه تأديته وتبليغه ، وجمعه رسل يسكون السين ، ورسول بضمها وفى لسان الشرع انسان ذكر حر اوحى اليه بشرع وأمر بتبليغه ، فان اوحى اليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي ، فكل رسول نبي ولا عكس فقد يكون نبيا غير رسول .

والمراد بالرسول المضاف الى ضمير الرب هنا محمد صلى الله عليه وسلم . والهدى فى اللغة : البيان والدلالة كما فى قوله تعالى : (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) فان المعنى بيّنا لهم ، وكما فى قوله (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) .

والهدى بهذا المعنى عام لجميع الناس ، ولهذا يوصف به القرآن كما فى قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم) ويوصف به الرسول صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) .

وقد يأتى الهدى بمعنى التوفيق والالهام ، فيكون خاصا بمن يشاء الله هدايته ، قال تعالى (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام) ولهذا نفاه الله عن رسوله ، قال تعالى (انك لا تهدى

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُنِيَ بِاللهِ شَهِيداً

من احببت ولكن الله يهدي من يشاء) .

والمراد بالهدى هنا كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الاختيارات الصادقة والايمان الصحيح والعلم النافع والعمل الصالح .

والدين يأتى لعدة معان ، منها الجزاء كما فى قوله تعالى (مالك يوم الدين) ومنه قولهم (كما يدين الفتى يدان) .

ومنها الخضوع والالتقياد ، يقال : دان له بمعنى ذل وخضع ، ويقال دان الله بكذا أو على كذا بمعنى اتخذه ديناً يعبد به .

والمراد بالدين هنا جميع ما أرسل الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاحكام والشرائع ، اعتقادية كانت أم قولية أم فعلية ، واضافته الى الحق من اضافة الموصوف الى صفته ، أى الدين الحق ، والحق مصدر حق يحق اذا ثبت ووجب . فالمراد به الثابت الواقع ، ويقابله الباطل الذى لا حقيقة له .

اللام فى قوله ليظهره لام التعليل وهى متعلقة بأرسل ، وهو من الظهور بمعنى العلو والغلبة ، أى ليجعله عالياً على الاديان كلها بالحجة والبرهان . وال فى الدين للجنس ، فيدخل فيه كل دين باطل ، وهو ماعدا الاسلام . والشهيد فعيل ، وهو مبالغة من شهد ، وهو اما من الشهادة بمعنى الاخبار والاعلام ، أو من الشهادة بمعنى الحضور والمعنى (وكنى بالله شهيداً) مخبراً بصدق رسوله أو حاضراً مطلقاً لا يغيب عنه شيء .

والمعنى الاجمالى لما تقدم أن جميع اوصاف الكمال ثابتة لله على اكمل الوجوه واتمها .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

ومما يحمد عليه سبحانه نعمة على عباده التي لا يحصى أحد من الخلق عدها . وأعظمها إرساله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين ، وبشرى للمتقين ، ليظهره على جميع الأديان بالحجة والبرهان ، والعز والتمكين والسلطان ، وكفى بالله شهيدا على صدق رسوله وحقيقة ما جاء به .

وشهادته سبحانه تكون بقوله وفعله وتأييده لرسوله بالنصر والمعجزات والبراهين المتنوعة على أن ما جاء به هو الحق المبين .

الشهادة : الإخبار بالشيء عن علم به واعتقاد لصحته وثبوته ، ولا تعتبر الشهادة إلا إذا كانت مصحوبة بالإقرار والاذعان وواطأ القلب عليها اللسان ، فإن الله قد كذب المنافقين في قولهم (نشهد أنك لرسول الله) مع أنهم قالوا بالسنتهم .

ولا إله إلا الله هي كلمة التوحيد التي اتفقت عليها كلمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، بل هي خلاصة دعواتهم وزبدة رسالاتهم ، وما من رسول منهم إلا جعلها مفتتح أمره وقطب رحاه ، كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله . فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » .

ودلالة هذه الكلمة على التوحيد باعتبار اشتغالها على النفس والاثبات المقتضى للحصر وهو أبلغ من الإثبات المجرد ، كقولنا الله واحد مثلا فهي تدل بصدرها على نفى الإلهية عما سوى الله تعالى ، وتدل بعجزها على إثبات الإلهية له وحده .

ولا بد فيها من أضرار خبر تقديره لا معبود بحق موجود إلا الله ، وأما قوله وحده لا شريك له : فهو تأكيد لما دلت عليه كلمة

إِقْرَاراً بِهِ وَتَوْحِيداً ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

التوحيد وقوله اقرارا به مصدر مؤكد لمعنى الفعل اشهد ، والمراد اقرار القلب واللسان .

وقوله توحيدا أى اخلاصا لله عز وجل فى العبادة ، فالمراد به التوحيد الارادى الطلبى المبني على توحيد المعرفة والاثبات .

وجعل الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والعبودية مقرونة بالشهادة لله بالتوحيد للاشارة الى انه لا بد من كل منهما ، فلا تغنى احدهما عن الاخرى ، ولهذا قرن بينهما فى الاذان وفى التشهد . وقال بعضهم فى تفسير قوله تعالى (ورنعنا لك ذكرك) يعنى لا اذكر الا ذكرت معنى .

وانما جمع له بين وصفى الرسالة والعبودية لانها اعلى ما يوصف به العبد « والعبادة هى الحكمة التى خلق الله الخلق لاجلها كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فكمال المخلوق فى تحقيق تلك الغاية ، وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ، ولهذا ذكر الله نبيه بلقب العبد فى اسمى احواله واشرف مقاماته كالاسراء به وقيامه بالدعوة الى الله والايعاء اليه والتحدى بالذى أنزل عليه ، ونبه بوصف العبودية أيضا الى الرد على اهل الغلو الذين قد يتجاوزون بالرسول صلى الله عليه وسلم قدره ويرفعونه الى مرتبة الالهية . كما يفعل ضلال الصوفية تبجهم الله ، وقد صرح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، وانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » والمقصود أن هذه الشهادة تتضمن اعتراف العبد بكمال عبوديته صلى الله عليه وسلم لربه وكمال رسالته ، وأنه فاق جميع البشر فى كل خصلة كماله ، ولا تتم هذه الشهادة حتى يصدق العبد فى كل ما أخبر به ، ويطيعه فى

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

كل ما أهر به ، وينتهي عما نهى عنه .

الصلاة في اللغة الدعاء ، قال تعالى « وَصَلَّ عَلَيْهِمْ أَنْ صَلَاتِكَ سَكَنَ لَهُمْ » وأصبح ما قيل في صلاة الله على رسوله هو ما ذكره البخاري في صحيحه عن أبي العالية قال : صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه عند الملائكة .

والمشهور أن الصلاة من الملائكة الاستغفار كما في الحديث الصحيح « والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي فيه » يقولون اللهم اغفر له اللهم ارحمه « ومن الأديمين التضرع والدعاء وآل الشخص هم من يمتنون إليه بصلة وثيقة من قرابة ونحوها وآله صلى الله عليه وسلم يراد بهم أحيانا من حرمت عليهم الصدقة وهم بنو هاشم وبنو المطلب ويراد بهم أحيانا كل من تبعه على دينه ، وأصل (آل) أهل ، أبدلت الهاء همزة فتوالت همزتان فقلبت الثانية منهما ألفا ويصغر على أهيل أو أويل ، ولا يستعمل إلا فيها شرف غالبا فلا يقال آل الاسكاف وآل الحجام ، والمراد بالصحب أصحابه صلى الله عليه وسلم وهم كل من لقيه حال حياته مؤمنا ومات على ذلك .

والسلام اسم مصدر من سلم تسليما عليه ، بمعنى طلب له السلامة من كل مكروه ، وهو اسم من أسمائه تعالى ، ومعناه البراءة والخلص من النقائص والعيوب أو الذي يسلم على عباده المؤمنين في الآخرة .

تَسْلِيماً مَزِيداً . أَمَّا بَعْدُ فَهَذَا اعْتِقَادُ
الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ : أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ،

ومزيداً صفة لتسليماً وهو اسم مفعول من زاد المتعدى والتقدير
مزيداً فيه (أما بعد) كلمة يؤتى بها للدلالة على الشروع في المتصود ،
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعملها كثيراً في خطبه وكتبه .
وتقديرها عند النحويين مهما يكن من شيء بعد . والإشارة بقوله
(هذا) الى ما تضمنه هذا المؤلف من العقائد الإيمانية التي أجملها في
قوله (وهو الإيمان بالله الخ) والاعتقاد مصدر اعتقد كذا اذ اتخذه
عقيدة له ، بمعنى عقد عليه الضمير والقلب ودان لله به ، وأصله
من عقد الحبل ، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم .

والفرقة بكسر الفاء الطائفة من الناس ، ووصفها بأنها الناجية
المنصورة أخذاً من قوله عليه السلام (لا تزال طائفة من أمتي على
الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي أمر الله) .

ومن قوله في الحديث الآخر « ستفترق هذه الامة على ثلاث
وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة » ، وهي من كان على مثل
ما انا عليه اليوم واصحابي » .

وقوله (اهل السنة والجماعة) يدل من الفرقة ، والمراد بالسنة
الطريقة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
قبل ظهور البدع والمقاتلات . والجماعة في الاصل القوم المجتمعون ،
والمراد بهم هنا سلف هذه الامة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا
على الحق الصريح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم .

هذه الامور الستة هي اركان الايمان فلا يتم ايمان احد الا اذا

وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْإِيمَانُ
بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ .

آمن بها جميعا على الوجه الصحيح الذى دل عليه الكتاب والسنة ،
فمن جحد شيئا منها أو آمن به على غير هذا الوجه فقد كفر ، وقد
ذكرت كلها فى حديث جبريل المشهور حين جاء الى النبى صلى الله
عليه وسلم فى صورة اعرابى يسأله عن الاسلام والايمان والاحسان ،
فقال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث بعد
الموت وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره من الله تعالى .

(والملائكة) جمع ملاك واصله مأك من الألوكه وهى الرسالة
وهم نوع من خلق الله عز وجل أسكنهم سماواته ، ووكلمهم بشئون
خلقه ووصفهم فى كتابه بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يؤمرون ، وانهم يسبحون له بالليل والنهار لا يفترون . فيجب علينا
الايمان بما ورد فى حقهم من صفات وأعمال فى الكتاب والسنة ،
والإلمساك عما وراء ذلك ، فان هذا من شئون الغيب التى لا
نعلم منها الا ما علمنا الله ورسوله .

والكُتُب جمع كتاب « وهو من الكُتِب بمعنى الجمع والضم »
والمراد بها الكتب المنزلة من السماء على الرسل عليهم الصلاة
والسلام . والمعلوم لنا منها صحف ابراهيم والتوراة التى انزلت على
موسى فى الألواح والانجيل الذى أنزل على عيسى ، والزيبور الذى
انزل على داود ، والقرآن الكريم الذى هو آخرها نزولا ، وهو
المصدق لها والمهيمن عليها ، وما عداها يجب الايمان به اجمالا .

والرسل جمع رسول « وقد تقدم أنه من أوحى الله اليه بشريع
وأمره بتبليغه » وعلينا أن نؤمن تفصيلا بمن سقى الله فى كتابه منهم
وهم خمسة وعشرون ، ذكرهم الشاعر فى قوله :

رَفِي تِلْكَ حُجَّتًا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ مِنْ بَعْدِ عَشْرِ وَيَقَى سَبْعَةٌ وَهُمْ
إِدْرِيسُ هُوْدُ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذَا ذُو الْكِفْلِ آدَمُ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا

وأما من عدا هؤلاء من الرسل والأنبياء فنؤمن بهم أجالا على
معنى الاعتقاد بنبوتهم ورسالتهم دون أن نكلف أنفسنا البحث عن
عدتهم وأسمائهم ، فان ذلك مما اختص الله بعلمه ، قال تعالى
(ورسلا قد قصصنا عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) .

ويجب الايمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم
الله عز وجل ، وبينوه بيانا لا يسع أحدا ممن أرسلوا اليه جهله ،
وانهم معصومون من الكذب والخيانة ، والكتمان والبلادة ، وان
أفضلهم أولو العزم ، والمشهور أنهم محمد وإبراهيم وموسى وعيسى
ونوح ، لانهم ذكروا معا في قوله تعالى (واذا أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وقوله
(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما
وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)

والبعث في الاصل الاثارة والتحريك ، والبراد به في لسان الشرع
اخراج الموتى من قبورهم احياء يوم القيامة لفصل القضاء بينهم ، فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . ويجب
الايمان بالبعث على الصفة التي بينها الله في كتابه ، وهو انه جمع
ما تحلل من اجزاء الاجساد التي كانت في الدنيا وانشأوها خلقا
جديدا وامادة الحياة اليها ، ومنكر البعث الجثمانى كالفلاسفة
والنصارى كنار ، وأما من أقر به ولكنه زعم أن الله يبعث الارواح
في أجسام غير الاجسام التي كانت في الدنيا فهو مبتدع وفاسق .

وأما القدر فهو في الاصل مصدر ، تقول قدرت الشيء بفتح
الدال وتخفيفها ، قدره بكسرهما قدرا وقدرا اذا أحطت بمقداره

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ، الْإِيمَانُ بِهَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ :
فِي كِتَابِهِ ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَمِنْ
غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمَثِيلٍ .

والمراد به في لسان الشرع أن الله عز وجل علم مقادير الأشياء
وأزمانها أزلا ، ثم أوجدها بقدرته ومشينته على وفق ما علمه منها ،
وأنه كتبها في اللوح قبل أحداثها ، كما في الحديث « أول ما خلق
الله القلم ، فقال له اكتب ، قال وما أكتب ؟ قال اكتب كل ما هو
كائن » وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم
الا في كتاب من قبل أن نبرأها) .

وقوله (ومن الإيمان بالله الخ) هذا شروع في التفصيل بعد
الاجمال ومن هنا للتبعض ، والمعنى : ومن جملة إيمان أهل السنة
والجماعة بالأصل الأول الذي هو أعظم الأصول وأساسها ، وهو
الإيمان بالله أنهم يؤمنون بما وصف به نفسه الخ .

وقوله (من غير تحريف) متعلق بالإيمان قبله يعني أنهم مؤمنون
بالصفات الالهية على هذا الوجه الخالي من كل هذه المعاني الباطلة
اثباتا بلا تمثيل ، وتنزيها بلا تعطيل .

والتحريف في الأصل مأخوذ من قولهم : حرفت الشيء عن
وجهه حرفا ، من باب ضرب اذا أملتة وغيرته والتشديد للمبالغة .
وتحريف الكلام إمالاته عن المعنى المتبادر منه الى معنى آخر
لا يدل عليه اللفظ الا باحتمال مرجوح ، فلا بد فيه من قرينة تبين
أنه المراد .

وأما التعطيل فهو مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ
والترك ، ومنه قوله تعالى (وبئر معطلة) أى أهملها أهلها وتركوا
وردها ، والمراد به هنا نفى الصفات الالهية ، وانكار قيامها بذاته

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

تعالى . فالفرق بين التحريف والتعطيل أن التعطيل نفى للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة ، وأما التحريف فهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها .

والنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق ، فان التعطيل أعم مطلقا من التحريف بمعنى أنه كلما وجد التحريف وجد التعطيل دون العكس ، وبذلك يوجدان معا فيمن أثبت المعنى الباطل ونفى المعنى الحق ، ويوجد التعطيل بدون التحريف فيمن نفى الصفات الواردة في الكتاب والسنة وزعم أن ظاهرها غير مراد ولكنه لم يعين لها معنى آخر وهو ما يسهونه بالتفويض .

ومن الخطأ القول بأن هذا هو مذهب السلف كما نسب ذلك اليهم المتأخرون من الاشاعرة وغيرهم ، فان السلف لم يكونوا يفوضون في علم المعنى ولا كانوا يقرأون كلاما لا يفهمون معناه ، بل كانوا يفهمون معاني النصوص من الكتاب والسنة ، ويثبتونها لله عز وجل ، ثم يفوضون فيما وراء ذلك من كنه الصفات أو كيفيةها كما قال مالك حين سئل عن كيفية استوائه تعالى على العرش : « الاستواء معلوم والكيف مجهول » .

وأما قوله (ومن غير تكييف ولا تمثيل) فالفرق بينهما أن التكييف أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا ، أو يسأل عنها بكيف .

وأما التمثيل فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين ، وليس المراد من قوله من غير تكييف أنهم ينفسون الكيف مطلقا ، فان كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما ، ولكن المراد أنهم ينفسون علمهم بالكيف إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته الا هو سبحانه .

فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، وَلَا يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ
وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ ، وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ
بِصِفَاتِ خَلْقِهِ

قوله (ليس كمثله) هذه الآية المحكمة من كتاب الله عز وجل
هى دستور اهل السنة والجماعة فى باب الصفات فان الله عز وجل قد
جمع فيها بين النفى والاثبات ، فنفى عن نفسه المثل واثبت لنفسه
سمعا وبصرا . فدل هذا على أن المذهب الحق ليس هو نفى الصفات
مطلقا كما هو شأن المعطلة ولا اثباتها مطلقا ، كما هو شأن المثلة ،
بل اثباتها بلا تمثيل . وقد اختلف فى اعراب (ليس كمثله شئ) على
وجوه اصحها أن الكاف صلة زيدت للتأكيد كما فى قول الشاعر :

ليس كمثـل الفتى زهير خلق يوازيه فى الفضائل
وقوله (فلا ينفون عنه الخ) تفريع على ما قبله ، فانهم اذا كانوا
يؤمنون بالله على هذا الوجه فلا ينفون ولا يحرفون ، ولا يكيفون
ولا يمثلون .

والمواضع جمع موضع والمراد بها المعانى التى يجب تنزيل الكلام
عليها لانها هى المتبادرة منه عند الاطلاق فهم لا يعدلون به عنها .
وأما قوله (ولا يلحدون فى أسماء الله وآياته) فقد قال العلامة
ابن القيم رحمه الله : والالحد فى أسمائه هو العدول بها وبحقائقها
ومعانيها عن الحق الثابت لها ، مأخوذ من الميل كما يدل عليه
مادة (ل ح د) فمنه اللحد وهو الشق فى جانب القبر الذى قد مال
عن الوسط ، ومنه الملحد فى الدين (المائل عن الحق المدخل فيه
ما ليس منه) اهـ .

فالالحد فيها اما أن يكون بجحدها وانكارها بالكلية ، واما
بجحد معانيها وتعطيلها ، واما بتحريفها عن الصواب واخراجها

لَآئِهٖ سُبْحَانَهُ لَا سَمِيَّ لَهُ وَلَا كُفْءَ لَهُ وَلَا نِدَّ لَهُ .

عن الحق بالتأويلات الفاسدة ، وأما جعلها أسماء لبعض المبتدعات كالحاد أهل الاتحاد .

وخلاصة ما نقدم أن السلف رضى الله عنهم يؤمنون بكل ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه وبكل ما أخبر به عنه رسوله صلى الله عليه وسلم إيماناً سالماً من التحريف والتعطيل ، ومن التكيف والتمثيل ويجعلون الكلام في ذات الباري وصفاته باباً واحداً ، فإن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات يحتذى فيه حظوه ، فإذا كان إثبات الذات وجود لا إثبات تكيف فكذا إثبات الصفات ، وقد يعبرون عن ذلك بقولهم (نهر كما جاءت بلا تأويل) ومن لم يفهم كلامهم ظن أن غرضهم بهذه العبارة هو قراءة اللفظ دون التعرض للمعنى وهو باطل ، فإن المراد بالتأويل المنفى هنا هو حقيقة المعنى وكنهه وكيفيته .

قال الإمام أحمد رحمه الله : « لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث » .

وقال نعيم بن حماد شيخ البخاري : « من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر ، وليس فيها وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل » .

قوله (لانه سبحانه لا سمي له الخ) تعليل لقوله فيما تقدم أخباراً عن أهل السنة والجماعة لا يكتفون ولا يمثلون .

ومعنى (لا سمي له) أى لا نظير له يستحق مثل اسمه ، أو لا مساوى له يساويه ، وقد دل على نفيه قوله تعالى في سورة مريم (هل تعلم له سمياً) فإن الاستفهام هنا إنكارى معناه المنفى .

وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وليس المراد من نفى السمى ان غيره لا يسمى بمثل اسمائه ، فانه هناك اسماء مشتركة بينه وبين خلقه ، ولكن المقصود ان هذه الاسماء اذا سمى الله بها كان معناها مختصا به لا يشركه فيه غيره ، فان الاشتراك انما هو فى مفهوم الاسم الكلى ، وهذا لا وجود له الا فى الذهن ، واما فى الخارج فلا يكون المعنى الا جزئيا مختصا ، وذلك بحسب ما يضاف اليه ، فان اضيف الى الرب كان مختصا به لا يشاركه فيه العبد ، وان اضيف الى العدد كان مختصا به لا يشاركه فيه الرب .

واما الكفاء فهو المكافئ المساوى ، وقد دل على نفيه قوله تعالى (ولم يكن له كفوا أحد) .

واما الند فمعناه المساوى المناوىء قال تعالى (فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون) .

واما قوله (ولا يقاس بخلقه) فالمقصود به انه لا يجوز استعمال شىء من القياس التى تقتضى المائلة والمساواة بين المقيس والمقيس عليه فى الشئون الالهية .

وذلك مثل قياس التمثيل الذى يعرفه علماء الاصول بانه الحاق فرع باصل فى حكم الجامع ، كالحاق النبيذ بالخمر فى الحرمة لاشتراكهما فى علة الحكم وهى الاسكار .

فقياس التمثيل مبنى على وجود مماثلة بين الفرع والاصل ، والله عز وجل لا يجوز ان يمثل بشىء من خلقه .

ومثل قياس الشمول المعروف عند المناطقة بانه الاستدلال بكلى على جزئى بواسطة اندراج ذلك الجزئى مع غيره تحت هذا الكلى . فهذا القياس مبنى على استواء الانراد المندرجة تحت هذا

فَإِنَّهُ أَعْلَمَ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ وَأَصْدَقُ قَبِيلاً وَأَحْسَنُ حَدِيثاً مِنْ خُلُقِهِ ، ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدِّقُونَ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ)

الكلى ، ولذلك يحكم على كل منها بما حكم به عليه .

ومعلوم أنه لا مساواة بين الله عز وجل وبين شيء من خلقه وإنما يستعمل في حقه تعالى قياس الأولي ومضمونه أن كل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق ، فالخالق أولى به من المخلوق ، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق بالتنزه عنه .

وكذلك قاعدة الكمال التي تقول : أنه إذا قدر اثنان أحدهما موصوف بصفة كمال والآخر يتمتع عليه أن يتصف بتلك الصفة كان الأول أكمل من الثاني ، فيجب إثبات مثل تلك الصفة لله ما دام وجودها كمالاً وعدمها نقصاً .

قوله (فإنه أعلم بنفسه وبغيره — إلى قوله — ثم رسله صادقون مصدقون) تعليل لصحة مذهب السلف في الإيمان بجميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة . فإنه إذا كان الله عز وجل أعلم بنفسه وبغيره ، وكان أصدق قولاً وأحسن حديثاً ، وكان رسله عليهم الصلاة والسلام صادقين في كل ما يخبرون به عنه ، معصومين من الكذب عليه والأخبار عنه بما يخالف الواقع . وجب التعويل إذا في باب الصفات نفياً وإثباتاً على ما قاله الله وقاله رسوله الذي هو أعلم خلقه به ، وأن لا يترك ذلك إلى قول من يفترون على الله الكذب ويقولون عليه ما لا يعلمون .

وبيان ذلك أن الكلام إنما تقتصر دلالاته على المعاني المرادة منه لأحد ثلاثة أسباب ، إما لجهل المتكلم وعدم علمه بما يتكلم به ، وإما لعدم فصاحته وقدرته على البيان ، وإما لكذبه وغشه وتدليسـه ونصوص الكتاب والسنة بـريئة من هذه الأمور الثلاثة من كل وجه

وَلِهَذَا قَالَ (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ

فكلام الله وكلام رسوله في غاية الوضوح والبيان ، كما انه المشل
الاعلى في الصدق والمطابقة للواقع لصدوره عن كمال العلم بالنسب
الخارجية وهو كذلك صادر عن تمام النصح والشفقة ، والحرص
على هداية الخلق وارشادهم .

فقد اجتمعت له الامور الثلاثة التى هى عناصر الدلالة
والانهام على اكمل وجه . فالرسول صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق
بما يريد اخبارهم به ، وهو اقدرهم على بيان ذلك ، والانصاح عنه .
وهو احرصهم على هداية الخلق واشدهم ارادة لذلك ، فلا يمكن
ان يتع في كلامه شىء من النقص والتقصور بخلاف كلام غيره فانه
لا يخلو من نقص في احد هذه الامور او جميعها ، فلا يصح ان يعدل
بكلامه كلام غيره فضلا عن ان يعدل عنه الى كلام غيره ، فان هذا
هو غاية الضلال ومنتهى الخذلان .

قوله (ولهذا قال الخ) تعليل لما تقدم من كون كلام الله
وكلام رسوله اكمل صدقا واتم بيانا ونصحا ، وابعد عن العيوب
والافات من كلام كل احد .

(وسبحان) اسم مصدر من التسبيح ، الذى هو التثنية
والابعاد عن السوء ، وأصله من السبح الذى هو السرعة والانتلاق
والإبعاد ، ومنه فرس سبوح اذا كانت شديدة العدو .

واضافة الرب الى العزة من اضافة الموصوف الى صفته ، وهو
بدل من الرب قبله ، فهو سبحانه ينزه نفسه عما ينسب اليه المشركون
من اتخاذ صاحبة الولد وعن كل نقص وعيب .

ثم يسلم على رسله عليهم الصلاة والسلام بعد ذلك للإشارة
الى انه كما يجب تنزيه الله عز وجل وإبعاده عن كل سائبة نقص

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ ،
وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ . وَهُوَ قَدْ
جَمَعَ فِيهَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ .

وعيب ، فيجب اعتقاد سلامة الرسل في أقوالهم وأفعالهم من كل
عيب كذلك فلا يكذبون على الله ولا يشركون به ولا يفشون أمهم
ولا يقولون على الله إلا الحق .

قوله (والحمد لله رب العالمين) ثناء منه سبحانه على نفسه بما له
من نعوت الكمال وأوصاف الجلال وحميد الفعال ، وقد تقدم
الكلام على معنى الحمد فاعنى عن اعادته .

لما بين فيما سبق أن أهل السنة والجماعة يصفون الله عز وجل
بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ، ولم يكن ذلك كله إثباتا
ولا كله نفيا نبه على ذلك بقوله (وهو سبحانه قد جمع الخ) .

واعلم أن كلا من النفي والإثبات في الأسماء والصفات مجمل
ومفصل . أما الإجمال في النفي : فهو أن ينفي عن الله عز وجل كل
ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص مثل قوله تعالى (ليس
كمثله شيء) (هل تعلم له سميا) (سبحانه الله عما يصفون) .

وأما التفصيل في النفي فهو أن ينزه الله عن كل واحد من هذه
العيوب والنقائص بخصوصه ، فينزه عن الوالد والولد والشريك
والصاحبة ، والند والخذ والجهل والعجز والضلال والنسيان والسُّنَّة
والنوم والعبث والباطل الخ .

ولكن ليس في الكتاب ولا في السُّنَّة نفي محض ، فإن النفسى
الصرف لا مدح فيه ، وإنما يراد بكل نفي فيها إثبات ما يضاده من
الكمال ، فنفي الشريك والند لإثبات كمال عظمته وتفرده بصفات
الكمال ، ونفي العجز لإثبات كمال قدرته ، ونفي الجهل لإثبات سعة

فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ فَإِنَّهُ الصُّرَاطُ
الْمُسْتَقِيمُ صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

عليه واحاطته ، ونفى الظلم لاثبات كمال عدله ، ونفى العبث لاثبات
كمال حكيمته ، ونفى التَّسَنُّة والنوم والموت لاثبات كمال حياته وقبوعيته
وهكذا ، ولهذا كان النفي في الكتاب والسنة انما يأتى مجملا في أكثر
أحواله بخلاف الاثبات ، فان التفصيل فيه أكثر من الاجمال لانه
مقصود لذاته .

وأما الاجمال في الاثبات ، فمثل اثبات الكمال المطلق ، والحمد
المطلق والمجد المطلق ونحو ذلك ، كما يشير اليه مثل قوله تعالى
(الحمد لله رب العالمين) (ولله المثل الاعلى) .

وأما التفصيل في الاثبات فهو متناول لكل اسم أو صفة وردت
في الكتاب والسنة ، وهو من الكثير بحيث لا يمكن لاحد أن يحصيه
فان منها ما اختص الله عز وجل بعلمه كما قال عليه الصلاة والسلام
« سبحاتك لا تحصى ثناء عليك ائت كما أئنت على نفسك » وفي
حديث دعاء الكرب « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك
أو أنزلته في كتابك أو علمته احدا من خلقك أو استأثرت به نبي
علم الغيب عنده » .

قوله (فلا عدول الخ) هذا مترتب على ما تقدم من بيان أن
ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام هو الحق الذي يجب اتباعه
ولا يصح العدول عنه ، وقد علل ذلك بأنه الصراط المستقيم ،
يعنى الطريق السوى القاصد الذي لا موج فيه ولا انحراف .

والصراط المستقيم لا يكون الا واحداً من زاغ عنه أو انحرف
وتع في طريق من طرق الضلال والجور كما قال تعالى (وأن هذا

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ
الَّتِي تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ .

صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (والصراط المستقيم هو طريق الأمة الوسط الواقع بين طرفي الامراط والتفريط ولهذا امرنا الله عز وجل وعلمنا أن نسأله أن يهدينا هذا الصراط المستقيم في كل ركعة من الصلاة ، أى يلهينا ويوفقنا لسلوكه واتباعه فانه صراط الذين ائتم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) .

قوله (وقد دخل الخ) شروع في ايراد النصوص من الكتاب والسنة المتضمنة لما يجب الايمان به من الاسماء والصفات في النفي والاثبات .

وابتداً بذلك السورة العظيمة لانها اشتملت من ذلك على ما لم يشتمل عليه غيرها . ولهذا سميت سورة الاخلاص لتجريدتها للتوحيد من شوائب الشرك والوثنية .

روى الامام احمد في مسنده عن أبى بن كعب رضى الله عنه في سبب نزولها أن المشركين قالوا يا محمد أنسب لنا ربك ، فأنزل الله تبارك وتعالى (قل هو الله احد الله الصمد الخ السورة) .

وقد ثبت في الصحيح انها تعدل ثلث القرآن . وقد اختلف العلماء في تاويل ذلك على اقوال اقربها (١) : ما نقله شيخ الاسلام عن أبى العباس ، وحاصله أن القرآن الكريم اشتمل على ثلاثة مقاصد اساسية . اولها: الاوامر والنواهي المتضمنة للاحكام والشرائع

(١) انظر ٣٥ ، ٦٢ من كتاب جواب اهل العلم والايمان لشيخ الاسلام ابن تيمية ، طبع المطبعة السلفية .

حَيْثُ يَقُولُ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) .

العملية التي هي موضوع علم الفقه والاخلاق .

ثانيها : القصص والايخبار المتضمنة لاحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام مع اممهم ، وانواع الهلاك التي حاقت بالمكذابين ، لهم واحوال الوعد والوعيد وتفاصيل الثواب والعقاب .

ثالثها: علم التوحيد وما يجب على العباد من معرفة الله بأسمائه وصفاته وهذا هو اشرف الثلاثة .

ولما كانت سورة الاخلاص قد تضمنت اصول هذا العلم ، واشتملت عليه اجمالا صح أن يقال انها تعدل ثلث القرآن .

وأما كيف اشتملت هذه السورة على علوم التوحيد كلها وتضمنت الاصول التي هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي فنقول :

ان قوله تعالى (الله أحد) دلت على نفى الشريك من كل وجه في الذات او في الصفات او في الاعمال ، كما دلت على تفرده سبحانه بالمعظمة والكمال والمجد والجلال والكبرياء ، ولهذا لا يطلق لفظ أحد في الاثبات الا على الله عز وجل ، وهو أبلغ من واحد .

وقوله (الله الصمد) قد فسرهما ابن عباس رضى الله عنه بقوله « السيد الذي كمل في سؤدده ، والشريف الذي كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظيمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والغنى الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته ، والعليم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمه ، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله عز وجل هذه صفته لا تنبغي الا له ليس له كفؤ وليس كمثله شيء .

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ يَقُولُ :

وقد نسر الصمد أيضا بأنه الذى لا جوف له وبأنه الذى تصمد اليه الخليقة كلها وتقصده فى جميع حاجاتها ومهماتنا .

فأثبتت الاحدية لله تتضمن نفى المشاركة والمائلة ، وإثبات الصمدية بكل معانيها المتقدمة تتضمن إثبات جميع تفاصيل الاسماء الحسنى والصفات العلى ، وهذا هو توحيد الإثبات .

وأما النوع الثانى وهو توحيد التثنية فيؤخذ من قوله تعالى :
(لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) كما يؤخذ إجمالا من قوله
(الله أحد) .

أى لم يتفرع عنه شيء ولم يتفرع هو عن شيء ، وليس له مكافئ ولا مماثل ولا نظير .

فانظر كيف تضمنت هذه السورة توحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب إثباته للرب تعالى من الاحدية المنافية لمطلق المشاركة والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذى لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه ، ونفى الولد والوالد الذى هو من لوازم غناه وصمديته واحديته ، ثم نفى الكفاء المتضمن لنفى التشبيه والتمثيل والنظير فحق لسورة تضمنت هذه المعارف كلها أن تعدل تلك القرآن .

روى مسلم فى صحيحه عن أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل : أى آية فى كتاب الله أعظم ؟ قال الله ورسوله أعلم ، فرددتها مرارا ، ثم قال أبى : آية الكرسي فوضع النبى يده على كتفه وقال : ليهنك هذا العلم أبا المنذر — وفى رواية عند أحمد : « والذى نفسى بيده أن لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش » .

ولا غرو فقد اشتملت هذه الآية العظيمة من أسماء الرب

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ)

وصفاته على ما لم تشتمل عليه آية أخرى .

فقد أخبر الله فيها عن نفسه بأنه المتوحد في إِلَهِيَّتِهِ الذى لا تنبغى العبادة بجميع أنواعها وسائر صورها إِلَّا لَهُ .

ثم أردف قضية التوحيد بما يشهد لها من ذكر خصائصه وصفاته الكاملة ، فذكر أنه الحى الذى له كمال الحياة لأن حياته من لوازم ذاته فهي أزلية أبدية ، وكمال حياته يستلزم ثبوت جميع صفات الكمال الذاتية له من العزة والقدرة والعلم والحكمة والسمع والبصر والارادة والمشئة وغيرها ، إذ لا يتخلف شيء منها إلا لنقص نفس الحياة . فالكمال فى الحياة يتبعه الكمال فى سائر الصفات اللازمة للحى . ثم قرن ذلك باسمه القيوم ومعناه الذى قام بنفسه واستغنى عن جميع خلقه غنى مطلقا لا تشوبه شائبة حاجة أصلا لأنه غنى ذاتى ، وبه قامت الموجودات كلها ، فهي فقيرة إليه فقرا ذاتيا بحيث لا تستغنى عنه لحظة ، فهو الذى ابتدا إيجادها على هذا النحو من الأحكام والانتان وهو الذى يدبر أمورها ويمدها بكل ما تحتاج إليه فى بقائها . وفى بلوغ الكمال الذى قدره لها ، فهذا الاسم متضمن لجميع صفات الكمال الفعلية ، كما أن اسمه الحى متضمن لجميع صفات الكمال الذاتية . ولهذا ورد أن الحى القيوم هما اسم الله الأعظم الذى إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب .

ثم أعقب ذلك بما يدل على كمال حياته وقيوميته فقال (لا تأخذه) أى لا تغلبه (سنة) أى نعاس ولا نوم ، فإن ذلك ينال القيومية ، إذ النوم أخو الموت . ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون ، ثم ذكر عموم ملكه لجميع العوالم العلوية والسفلية ، وأنها جميعا تحت قهره وسلطانه فقال (له ما فى السموات وما فى الأرض) .

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)

ثم أردف ذلك بما يدل على تمام ملكه ، وهو أن الشفاعة كلها له فلا يشفع عنده أحد الا بإذنه .

وقد تضمن هذا النفي والاستثناء امرين ، أحدهما : إثبات الشفاعة الصحيحة ، وهى أنها تقع بإذنه سبحانه لمن يرضى قوله وعمله . والثانى : إبطال الشفاعة الشركية التى كان يعتقدونها المشركون لاصنامهم وهى أنها تشفع لهم بغير إذن الله ورضاه .

ثم ذكرسعة علمه واحاطته وأنه لا يخفى عليه شيء من الامور المستقبلية والماضية واما الخلق فانهم لا يحيطون بشيء من علمه ، قيل يعنى من معلومه ، وقيل من علم اسمائه وصفاته الا بما شاء الله سبحانه . ان يعلمهم اياه على السنة رسله او بغير ذلك من طرق البحث والنظر والاستتجاج والتجربة .

ثم ذكر ما يدل على عظيم ملكه وواسع سلطانه ، فآخبر أن كرسيه قد وسع السموات والارض جميعا . والصحيح فى الكرسى انه غير العرش وأنه موضع القدمين ، وأنه فى العرش كحلقة ملقاة فى فلاة .

واما ما أورده ابن كثير عن ابن عباس من تفسير الكرسى بالعلم فانه لا يصح وينفى الى التكرار فى الآية .

ثم أخبر سبحانه بعد ذلك عن عظيم قدرته وكمال قوته بقوله : (ولا يؤوده حفظهما) أى السموات والارض وما فيهما . وفسر

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ —

الشيخ رحمه الله يؤوده (يثقله) ويكرنه وهو من آده الامر اذا ثقل عليه ، ثم وصف نفسه سبحانه في ختام تلك الآية الكريمة ، بهذين الوصفين الجليلين ، وهما (العلى والعظيم) .

فالعلى هو الذى له العلو المطلق من جميع الوجوه ، علو الذات : وكونه فوق جميع المخلوقات مستويا على عرشه .
وعلو القدر : اذ كان له كل صفة كمال ، وله من تلك الصفة اعلاها وغايتها .

وعلو القهر : اذ كان هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .
وأما العظيم : فمعناه الموصوف بالعظمة الذى لا شىء اعظم منه ، ولا اجل ولا اكبر ، وله سبحانه التعظيم الكامل في قلوب انبيائه وملائكته واصفيائه .

قوله (هو الاول) الجملة هنا جاءت معرفة الطرفين ، فهى تفيد اختصاصه سبحانه بهذه الاسماء الاربعة ومعانيها على ما يليق بجلاله وعظمته ، فلا يثبت لغيره من ذلك شىء .

وقد اضطربت عبارات المتكلمين في تفسير هذه الاسماء ، ولا داعى لهذه التفسيرات بعد ما ورد تفسيرها عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه ، فقد روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا اوى الى فراشه ، « اللهم رب السموات السبع ورب الارض رب كل شىء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والقرآن ، اعوذ بك من شر كل ذى شر انت آخذ بناصيته ، انت الاول فليس قبلك شىء ، وانت الاخر فليس بعدك شىء ، وانت الظاهر فليس فوقك شىء ، وانت الباطن فليس دونك شىء ، اقض عني الدين واغنني من الفقر » .

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) . وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ)

فهذا تفسير واضح جامع يدل على كمال عظمته سبحانه وأنه محيط بالاشياء من كل وجه (فالاول والآخر) بيان لاحاطته الزمانية ، (والظاهر والباطن) بيان لاحاطته المكانية ، كما ان اسمه الظاهر يدل على أنه العالى فوق جميع خلقه ، فلا شئ منها فوقه .

فمدار هذه الاسماء الاربعة على الاحاطة ، فلحاطت أوليته وأخريته بالاول والآخر ، واحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن فاسمه الاول دال على قدمه وأزليته ، واسمه الآخر دال على بقائه وأبديته ، واسمه الظاهر دال على علوه وعظمته ، واسمه الباطن دال على قربيه ومعيته ، ثم ختمت الآية بما يفيد احاطة علمه بكل شئ من الامور الماضية والحاضرة والمستقبلية ، ومن العالم العلوى والسفلى ، ومن الواجبات والجائزات والمستحيلات فلا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء . فالآية كلها شأن احاطة الرب سبحانه بجميع خلقه من كل وجه ، وان العوالم كلها في قبضة يده كخردلة في يد العبد لا يفوته منها شئ ، وانما اتى بين هذه الصفات بالواو مع انها جارية على موصوف واحد لزيادة التقرير والتأكيد ، لان الواو تقتضى تحقيق الوصف المتقدم وتقريره وحسن ذلك لمجيئها بين اوصاف متقابلة قد يسبق الى الوهم استبعاد الاتصال بها جميعا ، فان الاولية تنافى الآخرة في الظاهر . وكذلك الظاهرية والباطنية فاندفع توهم الإنكار التاكيد .

قوله (وتوكل الخ) هذه الجملة من الآيات ساقها المؤلف لاثبات بعض الاسماء والصفات . فالآية الاولى فيها اثبات اسمه الحى ، كما تضمنت سلب الموت الذى هو ضد الحياة عنه ، وقد قدمنا انه سبحانه حى ببقاء هى صفة له لازمة لذاته فلا يعرض لها موت ولا زوال أصلا ، وأن

وَقَوْلُهُ (وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ — وَهُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ — يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ بِهَا —

حياته أكمل حياة وأتمها فيستلزم ثبوتها له ثبوت كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة . وأما الآيات الباقية ففيها اثبات صفة العلم وما اشتق منها ككونه عليما ويعلم واحاط بكل شيء علما الخ .

والعلم صفة لله عز وجل بها يدرك جميع المعلومات على ما هي به فلا يخفى عليه منها شيء كما قدمنا .

وفيها اثبات اسمه الحكيم ، وهو مأخوذ من الحكمة ، ومعناه الذي لا يقول ولا يفعل الا الصواب ، فلا يقع منه عيب ولا باطل ، بل كل ما يخلقه او يأمر به فهو تابع لحكمته .

وقيل هو من فعيل بمعنى مفعول ، ومعناه المحكم للامور من الاحكام وهو الاتقان فلا يقع في خلقه تفاوت ولا فطور ، ولا يقع في تدبيره خلل او اضطراب .

وفيها كذلك اثبات اسمه الخبير ، وهو من الخبرة بمعنى كمال العلم وثبوته والاحاطة بالامور على وجه التفصيل ووصول علمه الى كل ما خفى ودق من الحسيات والمعنويات .

وقد ذكر سبحانه في هذه الآيات بعض ما يتعلق به علمه للدلالة على شموله واحاطته بما لا تبلغه علوم خلقه ، فذكر انه يعلم ما يلج اى يدخل في الارض من حب وبذور ومياه وحشرات ومعادن ، وما يخرج منها من زرع واشجار وحيون جارية ومعادن نافعة كذلك وما ينزل من السماء ، من ثلوج وامطار ومواعق وملائكة ، وما يعرج ، اى يصعد فيها كذلك من ملائكة واعمال وطير مصواف الى غير ذلك مما يعلمه جل شأنه ، وذكر فيها ايضا ان عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ، ومفاتيح الغيب قيل خزائنه ، وقيل طرقه

وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ
مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ

واسبابه التي يتوصل بها اليه ، جمع مَفَاتِيحُ بكسر الميم او مَفْتَاَح
بحذف ياء مفاعيل .

وقد فسرهما النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « مفاتيح الغيب
خمس لا يعلمهن الا الله ، ثم تلا قوله تعالى (ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ،
وما تدرى نفس باى ارض تموت ان الله عليم خبير) .

وقد دلت الآيتان الاخيرتان على أنه سبحانه عالم بعلم هو صفة
له قائم بذاته خلافا للمعتزلة الذين نفوا صفاته ، فمنهم من قال انه
عالم بذاته وقادر بذاته الخ ، ومنهم من فسر اسماؤه بمعان سلبية
فقال : عليم معناه لا يجهل ، وقادر معناه لا يعجز الخ .

وهذه الآيات حجة عليهم فقد اخبر فيها سبحانه عن احاطة
علمه بحمل كل انثى ووضعها من حيث المتي والكيف ، كما اخبر
عن عموم قدرته وتعلقها بكل ممكن وعن احاطة علمه بجميع الاشياء
وما احسن ما قاله الامام عبد العزيز المكي في كتابه الحيدة لبشر
المريسي المعتزلى وهو يناظره في مسألة العلم « ان الله عز وجل لم
يمدح كتابه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا مؤمنا تقيا بنفى الجهل
عنه ليدل على اثبات العلم له ، وانما مدحهم باثبات العلم لهم فنفى
بذلك الجهل عنهم ، فمن اثبت العلم نفى الجهل ، ومن نفى الجهل لم
يثبت العلم » .

والدليل العقلى على علمه تعالى انه يستحيل ايجاده الاشياء مع
الجهل لان ايجاده الاشياء بارادته ، والارادة تستلزم العلم المراد
ولهذا قال سبحانه (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) .

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) وَقَوْلُهُ (وَمَا تَحِبُّ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا
بِعِلْمِهِ) وَقَوْلُهُ (لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ
أَخَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) .

ولان المخلوقات فيها من الاحكام والالتقان وعجيب الصنعة ودقيق
الخلقة ما يشهد بعلم الفاعل لها لامتناع صدور ذلك عن غير علم .
ولان من المخلوقات من هو عالم والعلم صفة كمال ، فلو لم يكن
الله عالما لكان في المخلوقات من هو اكمل منه .

وكل علم في المخلوق انما استفادته من خالقه ، وواهب الكمال
احق به ، ومافد الشيء لا يعطيه . وانكر الفلاسفة علمه تعالى
بالجزئيات وقالوا انه يعلم الاشياء على وجه كلى ثابت ، وحقيقة
قولهم انه لا يعلم شيئا ، فان كل ما في الخارج هو جزئى . كما انكر
الفلاة من القدرية علمه تعالى بأفعال العباد حتى يعملوها ، توها منهم
ان علمه بها يفضى الى الجبر ، وقولهم معلوم البطلان بالضرورة في
جميع الاديان . قوله (ان الله الخ) تضمنت اثبات اسمه الرزاق وهو
مبالغة من الرزق ومعناه الذى يرزق عباده رزقا بعد رزق في اكثر
وسعة ، وكل ما وصل منه سبحانه من نفع الى عباده فهو رزق، مباحاً
كان أو غير مباح فلى معنى انه قد جعله لهم قوتا ومعاشا ، قال
تعالى (والنخل باستقاة لها طلع نضيد رزقا للعباد) وقال (وفي
السماء رزقكم وما توعدون) الا أن الشيء اذا كان مأذوناً
في تناوله فهو حلال حكما والا كان حراما ، وجميع ذلك رزق ،
وتعريف الجلة الاسمية والاتيان فيها بضمير الفصل لامادة اختصاصه
سبحانه بايصال الرزق الى عباده .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « اقرانى رسول

وَقَوْلُهُ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ)
وَقَوْلُهُ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) وَقَوْلُهُ (إِنَّ اللَّهَ نِعْمَ
يَعْظُمُ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً) .

الله صلى الله عليه وسلم انى انا الرزاق ذو القوة المتين » .
واما قوله (ذو القوة) اى صاحب القوة فهو بمعنى اسمه القوى
الا انه ابلغ فى المعنى ، فهو يدل على ان قوته سبحانه لا تتناقص
فيهن او يفتر .
واما (المتين) فهو اسم له من المتانة ، وقد فسره ابن عباس
« بالشديس » .

قوله (ليس كمثله شيء الخ) دل اثبات صفتى السمع والبصر له
سبحانه بعد نفى المثل عنه على انه ليس المراد من نفى المثل نفى
الصفات كما يدعى ذلك المعطلة ويحتجون به باطلا ، بل المراد اثبات
الصفات مع نفى مماثلتها لصفات المخلوقين

قال العلامة ابن القيم رحمه الله (قوله ليس كمثله شيء) انما
تصد به نفى أن يكون معه شريك او معبود يستحق العبادة والتعظيم
كما يفعله المشبهون والمشركون ، ولم يقصد به نفى صفات كماله
وعلوه على خلقه وتكليمه بكتبه وتكلمه لرسله ورؤية المؤمنين له
جهرة بأبصارهم كما ترى الشمس والقمر فى الصحو . ا هـ .

ومعنى السميع المدرك لجميع الاصوات مهما خفت ، فهو يسمع
السر والنجوى بسمع هو صفة لا يماثل اسماع خلقه .

ومعنى البصير المدرك لجميع الرئيات من الاشخاص والالوان
مهما لطفت او بعدت فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والاستار وهو من
فعيل بمعنى مفعول ، وهو دال على ثبوت صفة البصر له سبحانه
على الوجه الذى يليق به .

وَقَوْلُهُ (وَلَوْلَا إِذْ كَخَلْتَ جَنَّتْكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)
وَقَوْلُهُ (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) .

روى ابو داود فى سننه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى
صلى الله عليه وسلم قرا هذه الآية (أن الله كان سميعا بصيرا) فوضع
إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه .

ومعنى الحديث أنه سبحانه يسمع بسمع ويرى بعين فهو حجة
على بعض الاشاعرة الذين يجعلون سمعه علمه بالمسموعات وبصره
علمه بالمبصرات ، وهو تفسير خاطئ ، فان الاعمى يعلم بوجود
السماء ولا يراها ، والاصم يعلم بوجود الاصوات ولا يسمعها .
قوله (ولولا اذ دخلت ، الخ) هذه الآيات دلت على اثبات
صفتى الإرادة والمشيئة ، والنصوص فى ذلك لا تحصى كثرة .

والاشاعرة يشتون ارادة واحدة قديمة تعلقست فى الازل
بكل المراتات فيلزمهم تخلف المراد عن الارادة ، وأما المعتزلة
فعلى مذهبهم فى نفى الصفات لا يشبتون فى صفة الارادة ، ويقولون
انه يريد بارادة حادثة لا فى محل ، فليزهم قيام الصفة بنفسها وهو
من أبطل الباطل .

وأما أهل الحق فيقولون أن الإرادة على نوعين :

(١) ارادة كونية ترادفها المشيئة ، وهما تتعلقان بكل ما يشاء
الله فعلة واحداثه ، فهو سبحانه اذا اراد شيئا وشاءه كان عقب
ارادته له كما قال تعالى (وانما امره اذا اراد شيئا أن يقول له كن
فيكون)

وفى الحديث الصحيح (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) .

(٢) ارادة شرعية تتعلق بما يأمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه

وَقَوْلُهُ (أَجَلْتُ لَكُمْ بِهِيْمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنَلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُجَلَّى الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) .

وَقَوْلُهُ (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّهُ بِصُورَةِ السَّمَاءِ) .

وهى المذكورة فى مثل قوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ولا تلازم بين الارادتين بل قد تتعلق كل منهما بما لا تتعلق به الاخرى فبينهما عموم وخصوص من وجه . فالارادة الكونية اعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصى ، وأخص من جهة انها لا تتعلق بمثل ايمان الكافر وطاعة الفاسق .

والارادة الشرعية اعم من جهة تعلقها بكل مأمور به واقعا كان او غير واقع ، وأخص من جهة أن الواقع بالارادة الكونية قد يكون غير مأمور به .

والحاصل ان الارادتين قد تجتمعان معا فى مثل ايمان المؤمن وطاعة المطيع ، وتنفرد الكونية فى مثل كفر الكافر ومعصية العاصى ، وتنفرد الشرعية فى مثل ايمان الكافر وطاعة العاصى وقوله تعالى (ولولا اذ دخلت جنتك) الآية ، هذا من قول الله حكاية عن الرجل المؤمن لزميله الكافر صاحب الجنتين يعظه به أن يشكر نعمة الله عليه ويردها الى مشيئة الله ويبرأ من حوله وقوته فانه لا قوة الا بالله .

وقوله (ولو شاء الله ما اقتتلوا) الآية ، اخبار عما وقع بين اتباع الرسل من بعدهم من التنازع والتعاضد بغيا بينهم وحسدا ، وأن ذلك انما كان بهشيئة الله عز وجل ، ولو شاء عدم حصوله ما حصل ولكنه شاءه فوقع .

وقوله (فمن يريد الله أن يهديه الخ) الآية تدل على أن كلا من

وَقَوْلُهُ (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ — وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ —)

الهداية والضلال بخلق الله عز وجل ، فمن يرد هدايته ، أى الهامه
وتوفيقه يشرح صدره للإسلام بأن يقذف فى قلبه نورا فيتسع له
وينبسط كما ورد فى الحديث — ومن يرد اضلاله وخذلانه يجعل
صدره فى غاية الضيق والحر ، فلا ينفذ اليه نور الايمان . وشبه
ذلك بمن يَصْعَدُ فى السماء .

تضمنت هذه الآيات اثبات أعمال له تعالى ناشئة عن صفة المحبة
ومحبة الله عز وجل لبعض الأشخاص والأعمال والأخلاق صفة له
قائمة به ، وهى من صفات الفعل الاختيارية التى تتعلق بمشيئته
فهو يحب بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة
البالغة وينى الإشاعة والمعتزلة صفة المحبة بدعوى أنها توهم
نقصا ، اذ المحبة فى المخلوق معناها ميله الى ما يناسبه او يستلذه ،
فاما الإشاعة فيرجعونها الى صفة الإرادة ، فيقولون ان محبة الله
لعبده لا معنى لها الا ارادته لآكرامه ومثوبته .

وكذلك يقولون فى صفات الرضى والغضب والكراهية والسخط
كلها عندهم بمعنى ارادة الثواب والعقاب .

واما المعتزلة فلانهم لا يثبتون ارادة قائمة به ، فيفسرون المحبة
بانها نفس الثواب الواجب عندهم على الله لهؤلاء بناء على مذهبهم
فى وجوب اثابة المطيع وعقاب العاصى .

واما اهل الحق فيثبتون المحبة صفة حقيقية لله عز وجل على
ما يليق به فلا تقتضى عندهم نقصا ولا تشبيها .

كما يثبتون لازم تلك المحبة وهى ارادته سبحانه اكرام من يحب
واثابته ، وليت شعري بماذا يجيب النافون للمحبة عن مثل قوله

فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ — إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) . وَقَوْلُهُ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحِبِّكُمْ اللَّهُ) .

عليه السلام في حديث أبي هريرة « ان الله عز وجل اذا احب عبدا
قال لجبريل عليه السلام اني احب فلانا فاحبه ، قال فيقول جبريل
عليه السلام لاهل السماء : ان ربكم عز وجل يحب فلانا فاحبوه ،
قال فيحبه اهل السماء ويوضع له القبول في الارض ، واذا ابغضه
فممثل ذلك) رواه الشيخان .

وقوله تعالى في الآية الاولى (واحسنوا) امر بالاحسان العام
في كل شيء لا سيما في امور الفقه المأمور بها قبل ذلك ، والاحسان فيها
يكون بالبذل وعدم الامساك ، او بالتوسط بين التقدير والتبذير ،
وهو القوام الذي امر الله به في سورة الفرقان .

روى مسلم في صحيحه عن شداد بن اوس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : « ان الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا
قتلتهم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم
شفرته وليرح ذبيحته » وأما قوله (ان الله يحب المحسنين) فهو تعليل
للامر بالاحسان فانهم اذا علموا أن الاحسان موجب لمحبتهم سارعوا
الى امتثال الامر به .

وأما قوله في الآية الثانية (واتقوا) فهو امر بالاعتدال وهو
العدل في الحكم بين الطائفتين المتنازعتين من المؤمنين ، وهو من
قسط اذ جار ، فالهمزة فيه للسلب ، ومن أسمائه تعالى القسط ،
وفي الآية الحث على العدل وفضله ، وانه سبب لمحبة الله عز وجل
وأما قوله تعالى (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) فمعناه اذا
كان بينكم وبين احد عهد كهؤلاء الذين عاهدتموهم عند المسجد الحرام

وَقَوْلُهُ (مَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) . وَقَوْلُهُ (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) .
وَقَوْلُهُ (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ) .

فاستقيموا لهم على عهدهم مدة استقامتهم لكم ، فما هنا مصدرية ظرفية ثم علل ذلك الامر بقوله (ان الله يحب المتقين) أى يحب الذين يتقون الله فى كل شىء ومنه عدم نقض العهد .
وأما قوله (ان الله يحب التوابين الخ) فهو اخبار من الله سبحانه عن محبته لهذين الصنفين من عباده .

أما الاول فهم التوابون ، أى الذين يكثرُونَ التوبة والرجوع الى الله عز وجل بالاستغفار مما ألما به على ما تقتضيه صيغة المبالغة ، فهم بكثرة التوبة قد تطهروا من الاثام والنجاسات المعنوية التى هى الذنوب والمعاصى .

وأما الثانى فهم المتطهرون الذين يبالغون فى التطهر ، وهو التنظيف بالوضوء أو بالغسل من الاحداث والنجاسات الحسية .
وقيل المراد بالمطهرين هنا الذين يتنزهون عن اتيان النساء فى زمن الحيض أو فى أدبارهن ، والحمل على العموم أولى .

وأما قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله) فقد روى عن الحسن فى سبب نزولها ان قوما ادعوا أنهم يحبون الله فانزل الله هذه الآية محنة لهم ، وفى هذه الآية قد شرط الله لمحبة اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم ، فلا ينال تلك المحبة الا من أحسن الاتباع ، والاستمسك بهديه عليه السلام .

قوله (وهو الغفور الخ) تضمنت الآية اثبات اسمين مسن الاسماء الحسنى وهما « الغفور والودود » أما الاول فهو مبالغة الغفر ومعناه الذى يكثر منه الستر على المذنبين من عباده والتجاوز

وَقَوْلُهُ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا

عن مؤاخذتهم .

وأصل الغفر السبتر ، ومنه يقال : الصبغ أغفر للوسخ . ومنه
المغفر لسترة الرأس .

وأما الثانى فهو من الود الذى هو خالص الحب والطفه ،
وهو أما من فعول بمعنى فاعل ، فيكون معناه الكثير الود لاهل
طاعته والمتقرب اليهم بنصرته ومعاونته .

وأما من فعول بمعنى مفعول فيكون معناه المودود لكثرة
احسانه المستحق لان يوده خلقه فيعبده ويحبدوه .

وأما قوله (بسم الله الرحمن الرحيم) وما بعدها من الآيات فقد
تضمنت اثبات أسماؤه الرحمن والرحيم واثبات صفى الرحمة والعلم .

وقد تقدم فى تفسير بسم الله الرحمن الرحيم الكلام على هذين
الاسمين وبيان الفرق بينهما ، وان أولهما دال على صفة الذات والثانى
دال على صفة الفعل ، وقد انكر الاشاعرة والمعتزلة صفة الرحمة
بدموى أنها فى المخلوق ضعف وخور وتآلم للمرحوم ، وهذا من
اتباع الجهل فان الرحمة انما تكون من الاتقواء للضعفاء ، فلا تستلزم
ضعفا ولا خورا بل قد تكون مع غاية العزة والقدرة . فالانسان
القوى يرحم ولده الصغير وأبويه الكبارين ومن هو أضعف منه ،
وأيمن الضعف والخور وهما من أتم الصفات من الرحمة التى وصف
الله نفسه بها واثنى على أوليائه المتصقين بها وأمرهم أن يتواصوا
بها .

وقوله (ربنا وسعت الخ) من كلام الله عز وجل حكاية عن
حملة العرش والذين حوله ، يتوسلون الى الله عز وجل بربوبيته وسعة

(وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا — وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ — كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ — وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ — قَالَ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) .

قَوْلُهُ (رَحِيمِي اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ — وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا

علمه ورحمته في دعائهم للمؤمنين ، وهو من احسن التوسلات التي يرجى معها الاجابة .

وانصب قوله رحمة وعلما على التمييز المحول عن الفاعل ، والتقدير وسعت رحمتك وعلمك كل شيء ، فرحمته سبحانه وسعت في الدنيا المؤمن والكافر والبر والفاجر ، ولكنها يوم القيامة تكون خاصة بالمتقين كما قال تعالى (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) الآية . وقوله تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) اى اوجبها على نفسه تفضلا واحسانا ولم يوجبها عليه احد .

وفي حديث ابي هريرة في الصحيحين « ان الله لما خلق انخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت او تسبق غضبى .

واما قوله « فالله خير حافظا » فالحافظ والحفيظ مأخوذ من الحفظ وهو الصيانة . ومعناه الذى يحفظ عباده بالحفظ العام فييسر لهم اقواتهم ويقيهم اسباب الهلاك والعطب وكذلك يحفظ عليهم اعمالهم ويحصى اقوالهم ويحفظ اوليائه بالحفظ الخاص فيعصمهم عن موقعة الذنوب ويحرسهم من مكائد الشيطان وعن كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم ، وانتصب (حافظا) تمييزا لخبر (الذى هو افضل تفضيل .

قوله (رضى الله عنهم الخ) تضمنت هذه الايات اثبات بعض صفات الفعل من الرضى لله الغضب ، واللعن والكره ، والسخط والمقت والاسف .

وهى عند اهل الحق صفات حقيقية لله عز وجل على ما يليق به

فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ . (وَقَوْلُهُ) (ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) .

ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك ، ولا يلزم منها ما يلزم في
المخلوق ، فلا حجة للاشاعة والمعتزلة على نفيها ولكنهم ظنوا أن
انصاف الله عز وجل بها يلزمه أن تكون هذه الصفات فيه على نحو
ما هي في المخلوق ، وهذا الظن الذي ظنوه في ربهم أرداهم فأوقعهم
في حمة النفي والتعطيل ، والاشاعة يرجعون هذه الصفات كلها
الى الإرادة كما علمت سابقا ، فالرضى عندهم إرادة الثواب والغضب
والسخط الخ إرادة العقاب .

وأما المعتزلة فيرجعونها الى نفس الثواب والعقاب

وقوله سبحانه (رضى الله عنهم ورضوا عنه) أخبار عما
يكون بينه وبين أوليائه من تبادل الرضى والمحبة ، أما رضاه عنهم فهو
اعظم وأجل من كل ما أعطوا من النعيم كما قال سبحانه (ورضوان
من الله أكبر) وأما رضاهم عنه فهو رضى كل منهم بمنزلة مهما كانت
وسروره بها حتى يظن أنه لم يؤت أحد خيرا مما أوتى ، وذلك في
الجنة .

وأما قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) الآية ، فقد احتراز
بقوله مؤمنا عن قتل الكافر ، وبقوله متعمدا ، أى قاصدا لذلك
(بأن يقصد من يعلبه آدميا معصوما فيقتله بما يغلب على الظن
موته به) عن القتل الخطأ .

وقوله (خالدا فيها) أى مقبيا على جهة التابيد ، وقيل الخلود
المكث الطويل واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، واللعين
والملمون من حقت عليه اللعنة أو دعى عليه بها .

وقد استشكل العلماء هذه الآيات من حيث أنها تدل على أن

(فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ) وَقَوْلُهُ (وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ) وَقَوْلُهُ (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) .
 وَقَوْلُهُ (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ)

القاتل عمدا لا توبة له وأمه مغلد في النار ، وهذا معارض لقوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقد أجابوا عن ذلك بعدة أجوبة منها :

- ١ — أن هذا الجزاء لمن كان مستحلا لقتل المؤمن عمدا .
- ٢ — أن هذا هو جزاؤه الذي يستحقه لو جوزى مع إمكان أن لا يجازى بأن يتوب أو يعمل صالحا يرجح بعمله السيء .
- ٣ — أن الآية واردة مورد التغليب والزجر .
- ٤ — أن المراد بالخلود المكث الطويل كما قدمنا .

وقد ذهب ابن عباس وجماعة الى أن القاتل عمدا لا توبة له حتى قال ابن عباس : ان هذه الآية من آخر ما نزل ولم ينسخها شيء ، والصحيح أن على القاتل حقوقا ثلاثة : حقا لله وحقا للورثة وحقا للقتيل ، فحق الله يسقط بالتوبة ، وحق الورثة يسقط بالاستيفاء في الدنيا أو العفو ، وأما حق القاتل فلا يسقط حتى يجتمع بقاتله يوم القيامة ويأتى رأسه في يده ويقول يا رب سل هذا فيم قتلنى ؟

وأما قوله (فلما آسفونا الخ) فالأسف يستعمل بمعنى شدة الحزن وبمعنى شدة الغضب والسخط وهو المراد في الآية والانتقام المجازاة بالمعقوبة مأخوذا من الفتنة وهى شدة الكراهة والسخط .

قوله (هل ينظرون الخ) في هذه الآيات اثبات صفتين من صفات الفعل له سبحانه وهما صفتا الاتيان والمجيء والذي عليه أهل السنة

وَقَوْلُهُ (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ - كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)

والجباة الايمان بذلك على حقيقته والابتعاد عن التأويل الذي هو في الحقيقة الحاد وتعطيل .

ولعل من المناسب ان ننقل الى القارئ هنا ما كتبه حامل لواء التجهم والتعطيل في هذا العصر وهو المدعو بزاهد الكوثري

قال في حاشيته على كتاب الاسماء والصفات للبيهقي ما نصه :
(قال الزمخشري ما معناه ان الله يأتي بعذاب في الغمام الذي ينتظر منه الرحمة ، فيكون مجيء العذاب من حيث تنتظر الرحمة أفزع وأهول) وقال امام الحرمين في معنى الباء كما سبق ، وقال الفخر الرازي ان ياتيهم امر الله . ا هـ .

فانت ترى من نقل هذا الرجل عن اسلافه في التعطيل مدى اضطرابهم في التخريج والتأويل .

على ان الآيات صريحة في بابها لا تقبل شيئا من تلك التأويلات فالآية الاولى تتوعد هؤلاء المصريين على كفرهم وعنادهم واتباعهم الشيطان بانهم ما ينتظرون الا ان ياتيهم الله عز وجل في ظلل الغمام لفصل القضاء بينهم ، وذلك يوم القيامة ، ولهذا قال بعد ذلك (وقضى الامر) والآية الثانية اشد صراحة اذ لا يمكن تأويل الايتان فيها بأنه ايتان الامر او العذاب لانه ردد فيها بين ايتان الملائكة وايتان الرب وايتان بعض آيات الرب سبحانه .

وقوله في الآية التي بعدها (وجاء ربك والملك صفا صفا) لا يمكن حملها على مجيء العذاب ، لان المراد مجيئه سبحانه يوم القيامة لفصل القضاء ، والملائكة صفوف اجلالا وتعظيما له ، وعند مجيئه تنشق السماء بالغمام كما اناذته الآية الاخيرة . وهو

سبحانه يجرى ويأتى وينزل ويدنو وهو فوق عرشه بائن من خلقه .
فهذه كلها أفعال له سبحانه على الحقيقة ، ودعوى المجاز تعطيل له
عن فعله واعتقاد أن ذلك المجيء والأتيان من جنس مجيء المخلوقين
وأتيانهم نزوع الى التشبيه يفضى الى الإنكار والتعطيل .
قوله (ويبقى وجه ربك الخ) تضمنت هاتان الآيتان اثبات
صفة الوجه لله عز وجل .

والنصوص في اثبات الوجه من الكتاب والسنة لا تحصى كثرة
وكلها تنفى تاويل المعطلة الذين يفسرون الوجه بالجهة أو الثواب أو
الذات ، والذي عليه أهل الحق أن الوجه صفة غير الذات ولا يقتضى
اثباته كونه تعالى مركبا من أعضاء كما يقوله المجسمة ، بل هو صفة
له على ما يليق به فلا يشبه وجهها ولا يشبهه وجه .

واستدل المعطلة بهاتين الآيتين على أن المراد بالوجه الذات
إذ لا خصوص للوجه في البقاء وعدم الهلاك .

ونحن نعارض هذا الاستدلال بأنه لو لم يكن لله عز وجل وجه
على الحقيقة لما جاز استعمال هذا اللفظ في معنى الذات فإن اللفظ
الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل في معنى آخر إلا إذا كان المعنى
الأصلى ثابتا للموصوف حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم الى
لازمه ، على أنه يمكن دفع مجازهم بطريق آخر فيقال انه أسند البقاء
الى الوجه ، ويلزم منه بقاء الذات بدلا من أن يقال اطلق الوجه
واراد الذات . وقد ذكر البيهقي نقلا عن الخطابى أنه تعالى لما
أضاف الوجه الى الذات وأضاف النعت الى الوجه فقال (ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والاکرام) دل على أن ذكر الوجه ليس بصلية
وإن قوله ذو الجلال والاکرام صفة للوجه والوجه صفة للذات .
وكيف يمكن تاويل الوجه بالذات أو بغيرها في مثل قوله عليه

وَقَوْلُهُ (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي — وَقَالَتِ الْيَهُودُ
يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ . غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا

السلام في حديث الطائف « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له
الظلمات الخ » وقوله فيما رواه أبو موسى الأشعري « حجاب النور أو
النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه .

قوله (ما منعك الخ) تضمنت هاتان الآيتان إثبات اليدين صفة
حقيقة له سبحانه على ما يليق به ، فهو في الآية الأولى يوبخ إبليس
على امتناعه عن السجود لآدم الذي خلقه بيده ، ولا يمكن حمل
اليدين هنا على القدرة ، فإن الأشياء جميعا حتى إبليس خلقها الله
بقدرته فلا يبقى لآدم خصوصية يتميز بها .

وفي حديث عبد الله بن عمرو « ان الله عز وجل خلق ثلاثة
أشياء بيده : خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن
بيده ، فتخصيص هذه الثلاثة بالذكر مع مشاركتها لبقية المخلوقات في
وقوعها بالقدرة دال على اختصاصها بأمر زائد .

وأيا فلفظ اليدين بالتثنية لم يعرف استعماله الا في اليد
الحقيقية ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة فإنه لا يسوغ أن يقال
خلقه الله بقدرتين أو بنعمتين ، على أنه لا يجوز إطلاق اليديين
بمعنى النعمة أو القدرة أو غيرها الا في حق من اتصف باليديين
على الحقيقة ، ولذلك لا يقال للريح يد ولا للماء يد .

وأما احتجاج المعطلة بأن اليد قد افردت في بعض الآيات وجاءت
بلفظ الجمع في بعضها فلا دليل فيه ، فإن ما يصنع بالاثنتين قد ينسب
الى الواحد ، تقول رأيت بمعنى وسمعت بأذن والمراد عيناى واذناى
وكذلك الجمع يأتى بمعنى المثنى أحيانا كقوله تعالى (ان تتوبا الى
الله فقد صغت قلوبكما) والمراد قلوبكما .

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا - وَحَرَّلْنَاكَ عَلَى الْوَاحِ وَدُسِّرَ - تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ، وَالْقَبْتُ عَلَيْكَ حَبْطَ مَنِيٍّ وَلَتَصْنَعَنَّ عَلَيَّ عَيْنِي) .

وكيف يتأتى حمل اليد على القدرة أو النعمة مع ما ورد من اثبات الكف والاصابع واليمين والشمال والقبض والبسط وغير ذلك مما لا يكون الا لليد الحقيقية .

وفي الآية الثانية يحكى الله سبحانه مقالة اليهود تبجحهم بالله في ربهم ووصفهم اياه حاشاه بان يده مغلولة اى ممسكة عن الاتفاق . ثم اثبت لنفسه سبحانه عكس ما قالوا ، وهو ان يديه مبسوطتان بالعماء ينفق كيف يشاء ، كما جاء في الحديث ان يمين الله ملاءى سَخَاءَ الليل والنهار لا تفيضها نفقة . ترى لو لم يكن لله يدان على الحقيقة هل كان يحسن هذا التعبير ببسط اليدين . الا شامت وجوه المتأولين .

قوله (فاصبر لحكم ربك الخ) في هذه الآيات الثلاث يثبت الله سبحانه لنفسه عينا يرى بها جميع المراتبات ، وهى صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به فلا يقتضى اثباتها كونها جارحة مركبة من شحم وعصب وغيرها .

وتفسير المعطلة لها بالرؤية أو بالحفظ والرعاية نفى وتعطيل وأما المرادها في بعض النصوص وجمعها في البعض الآخر فلا حجة لهم فيه على نفيها ، فان لغة العرب تتسع لذلك ، فقد يعبر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع ، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين كما قدمنا في الديدس .

وَقَوْلُهُ (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ تَحَاوَرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) وَقَوْلُهُ (وَلَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) .

على أنه لا يمكن استعمال لفظ العين في شيء من هذه المعاني التي ذكروها الا بالنسبة لمن له عين حقيقية فهل يريد هؤلاء المعطلة أن يقولوا ان الله يتمدح بما ليس فيه فيثبت لنفسه عينا وهو عاطل عنها ؟ وهل يريدون أن يقولوا ان رؤيته للأشياء لا تقع بصفة خاصة بها بل هو يراها بذاته كلها ، كما تقول المعتزلة انه قادر بذاته مريد بذاته الخ وفي الآية الاولى يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر لحكمه والاحتمال لما يلقاه من اذى قومه ، ويعمل ذلك الامر بانه يبرأى منه وفي كلايته وحفظه .

وفي الآية الثانية يخبر الله عز وجل عن نبيه نوح عليه السلام انه لما كذبه قومه وحقت عليهم كلمة العذاب واخذهم الله بالطوفان حملة هو ومن معه من المؤمنين على سفينة ذات الواح عظيمة من الخشب ودر ، اى مسامير (جمع دسار) تشد بها الالواح ، وانها كانت تجرى بعين الله وحراسته .

وفي الآية الثالثة : خطاب من الله لنبيه موسى عليه السلام بانهلقى عليه محبقومه ، يعنى احبه هو سبحانه وحبيه الى خلقه ، وانه صنعه على عينه ورباه تربية استعداد بها للقيام بما حملة من رسالة الى فرعون وقومه .

قوله (قد سمع الله الخ) هذه الآيات ساقها المؤلف لاثبات صفات السمع والبصر والرؤية .

اما السمع : فقد عبرت عنه الآيات بكل صيغ الاشتقاق وهى سمع ويسمع وسميع ونسمع واسمع ، فهو صفة حقيقية لله يدرك

وَقَوْلُهُ (أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ
يَكْتُبُونَ — إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ — أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ —
الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ —
وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) .

بها الاصوات كما قدمنا .

وأما البصر : فهو الصفة التي يدرك بها الاشخاص والالوان
والرؤية لازمة له ، وقد جاء في حديث أبي موسى (يا ايها الناس
اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا ولكن تدعون سميعا
بصيرا ان الذي تدعون اقرب الى احدكم من عنق راحلته) .

وكل من السمع والبصر صفة كمال وقد عاب الله على المشركين
عبادتهم ما لا يسمع ولا يبصر ، وقد نزلت الآية الاولى في شأن
خولة بنت ثعلبة حين ظاهر منها زوجها فجاءت تشكو الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتحاوره وهو يقول لها : ما اراك الا قد
حرمت عليه .

اخرج البخارى في صحيحه عن عروة عن عائشة رضى الله عنها
قالت « الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات ، لقد جاءت المجادلة
تشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا في ناحية من البيت
ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل (قد سمع الله قول الذى تجادلك
في زوجها) الآيات .

وأما الآية الثانية : فقد نزلت في فنحاص اليهودى الخبيث حين
قال لابی بكر رضى الله عنه لما دعاه الى الاسلام : والله يا ابا بكر
ما بنا الى الله من حاجة من فقر وانه الينا لفقير ولو كان غنيا
ما استقرضنا) . وإما الآية الثالثة : فَأَمِّ بِمَعْنَى بِل وَالْهَمْزَةُ فِيهِ أَمُّ
الْمَنْقُطَةُ، وَالْاِسْتِفْهَامُ اِنْكَارٌ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى التَّوْبِيخِ ، وَالْمَعْنَى بِل

وَقَوْلُهُ (وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ) وَقَوْلُهُ (وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) .

أيظن هؤلاء في تخفيهم واستتارهم أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ، بل
نسمع ذلك وحفظتنا لديهم يكتبون ما يقولون وما يفعلون .

وأما الآية الرابعة : فهي خطاب من الله عز وجل لموسى وهارون
عليهما الصلاة والسلام حين شكوا الى الله خوفهما من بطش فرعون
بهما ، فقال لهما : « لا تخافا اننى معكما اسمع وارى » .

وأما الآية الخامسة فقد نزلت في شأن أبى جهل لعنه الله حين
نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند البيت فنزل قوله تعالى
(أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَى ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) الخ السورة
وقوله (وهو شديد الحال الخ) تضمنت هذه الآيات اثبات
صفتى المكر والكيد وهما من صفات الفعل الاختيارية ، ولكن
لا ينبغى أن يشتق له من هاتين الصفتين اسم ، فيقال مكر وكائد
بل يوقف عندهما ورد به النص من أنه خير الماكرين ، وأنه يكيد
لاعدائه الكافرين .

أما قوله سبحانه (وهو شديد الحال) فمعناه شديد الأخذ
بالعقوبة كما في قوله تعالى (أن بطش ربك لشديد) (أن أخذه
اليوم شديد) .

وقال ابن عباس : معناه شديد الحول ، وقال مجاهد : شديد
القوة والاقوال متقاربة .

وأما قوله (والله خير الماكرين) فمعناه أنفذهم وأسرعهم مكرًا .
وقد فسر بعض السلف مكر الله بعباده بأنه استدراجهم بالنعم
من حيث لا يعلمون ، نكلا أحدثوا ذنبا أحدث لهم نعمة ، وفي

وَقَوْلُهُ (وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) وَقَوْلُهُ (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا) وَقَوْلُهُ (إِنْ تَبْدُوا خَيْرًا أَوْ تَخْشَوْهُ

الحديث « اذا رايت الله يعطى العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلم انما ذلك منه استدراج .

وقد نزلت هذه الآية في شأن عيسى عليه السلام حين اراد اليهود قتله فدخل بيتا فيه كوة وقد ايده الله بجبريل عليه السلام فرفعه الى السماء من الكوة ، فدخل عليه يهودا ليدهم عليه فيقتلوه فالتقى الله شبه عيسى على ذلك الخائن ، فلما دخل البيت فلم يجد فيه عيسى خرج اليهم وهو يقول ما في البيت أحد ، فقتلوه وهم يرون انه عيسى فذلك قوله تعالى (ومكروا ومكر الله) .

واما قوله تعالى (ومكروا مكرًا الخ) فهي في شأن الرهط التسعة من قوم صالح عليه السلام حين تقاسموا بالله ليبينه واهله ، أى ليقتلنه بياتا هو واهله ثم ليقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله ، فكان عاقبة هذا المكر منهم ان مكر الله بهم فدمرهم وقومهم أجمعين .

قوله (ان تبدوا خيرا الخ) هذه الآيات تضمنت اثبات صفات العفو والقدرة والمغفرة والرحمة والعزة والتبارك والجلال والاكرام . فالعفو الذى هو اسبه تعالى معناه المتجاوز عن عقوبة عباده اذا هم تابوا اليه واتابوا كما قال تعالى (وهو الذى يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات) .

ولما كان اكمل العفو ما كان عن قدرة تامة على الانتقام والمواخذة جاء هذان الاسمان الكريمان العفو والقدير ، مقترنين في هذه الآية وفي غيرها .

واما القدرة فهي الصفة التى تتعلق بالممكنات ايجادا واعدا

أَوْ تَعْمُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا. وَلِيَعْمُوا وَلِيَصْحُوا
أَلَّا تَجِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) .

فكل ما كان ووقع من الكائنات واقع بمشيئته وقدرته كما في الحديث
« ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » وأما قوله تعالى (وليعفوا
وليصفحوا) الآية ، فقد نزلت في شأن أبى بكر رضى الله عنه حين
حلف لا ينفق على مسطح بن اثاثه ، وكان ممن خاضوا في الاثمك ،
وكانت ام مسطح بنت خالة أبى بكر ، فلما نزلت هذه الآية قال
ابو بكر : والله انى لاحب ان يغفر الله لى ووصل مسطحا .

وأما قوله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فقد نزلت
في شأن عبد الله بن أبى بن سلول رئيس المنافقين ، وكان في بعض
الغزوات قد أقسم ليخرجن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
وأصحابه من المدينة فنزل قوله تعالى (يقولون لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل) يقصد بالاعز قبحه الله نفسه وأصحابه .
ويقصد بالاذل رسول الله ومن معه من المؤمنين ، فرد الله عز وجل
عليه بقوله (والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) .

والعزة صفة أثبتها الله عز وجل لنفسه ، قال تعالى (وهو
العزیز الحكيم) وقال (وكان الله قويا عزيزا) وأقسم بها سبحانه
كما في حديث الشفاعة « وعزتى وكبريائى وعظمتى لاخرجن منها
من قال لا اله الا الله » وأخبر عن ابليس أنه قال « مبعزتك لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين » .

وفي صحيح البخارى وغيره عن أبى هريرة « بينا أيوب عليه
السلام يقتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل يحثى في ثوبه
فناداه ربه : يا أيوب ألم اكن أغنيك عما ترى ؟ قال بلى وعزتك

وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ (فَيَعِزُّكَ لِأَعْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ) وَقَوْلُهُ (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) .

وَقَوْلُهُ (فاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا - وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

ولكن لا غنى لى عن بركتك » .

وقد جاء في حديث الدعاء الذى علمه النبى صلى الله عليه وسلم لما كان به وجع « اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر » .

والعزة تأتى بمعنى الْعَلَبَةِ والقهر من عَزِيْزٌ بضم العين فى المضارع يقال عزه اذا غلبه ، وتأتى بمعنى القوة والصلابة من عَزَّ يَعِزُّ بفتحها ومنه ارض عزاز للصلبة الشديدة ، وتأتى بمعنى علو القدر والامتناع من الاعداء من عَزَّ يَعِزُّ بكسرهما ، وهذه المعانى كلها ثابتة لله عز وجل .

وأما قوله تعالى (تبارك اسم ربك) فانه من البركة بمعنى دوام الخير وكثرته ، وقوله (ذو الجلال) أى صاحب الجلال والعظمة سبحانه الذى لا شئ أجلى ولا أعظم منه (والاكرام) الذى يكرم عما لا يليق به وقيل الذى يكرم عباده الصالحين بأنواع الكرامة فى الدنيا والآخرة والله اعلم .

قوله (فاعبده الخ) تضمنت هذه الآيات الكريمة جملة من صفات القلوب وهى نفى السمى والكفؤ والنديد والولد والشريك والولى من ذل وحاجة . كما تضمنت بعض صفات الاثبات من الملك والحمد والقدرة والكبرياء والتبارك .

أما قوله تعالى (هل تعلم له سميا) فقد قال شيخ الاسلام رحمه الله « قال أهل اللغة : هل تعلم له سميا ، أى نظيرا استحق مثل اسمه ويقال مساميا يساميه ، وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس « هل تعلم له سميا » ، مثلا أو شبيها .

وَقَوْلُهُ (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ — وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ
مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ)

والاستفهام في الآية انكارى معناه النفى ، أى لا تعلم له سبيا .

وأما قوله (ولم يكن له كفوا أحد) فالمراد بالكفو المكافئ
المساوى . فهذه الآية تنفى عنه سبحانه النظير والشبيه من كل وجه
لأن (أحداً) وقع نكرة في سياق النفى فيعم ، وقد تقدم الكلام على
تفسير سورة الاخلاص كلها فليرجع اليها .

وأما قوله (فلا يجعلوا لله أندادا الخ) فالانداد جمع ند ومعناه
كما قيل النظير المناوىء ، ويقال ليس لله ند ولا ضد ، والمراد نفى
ما يكافئه ويناوله ، ونفى ما يضاده وينافيه .

وجملة (وأنتم تعلمون) وقعت حالا من الواو في (تجعلوا) ، المعنى
إذا كنتم تعلمون أن الله هو وحده الذى خلقكم ورزقكم وأن هذه
الآلهة التى جعلتموها له نظراء وأمثال وساويتوها به فمى استحقاق
العبادة لا تخلق شيئا بل هى مخلوقة ولا تملك لكم ضرا ولا نفعا
فاتركوا عبادتها وأوردوه سبحانه بالمعبادة والتعظيم .

وأما قوله (ومن الناس من يتخذ الخ) فهو اخبار من الله عن
المشركين بأنهم يحبون آلهتهم كحبهم لله عز وجل ، يعنى يجعلونها
مساوية له في الحب « والذين آمنوا اشد حبا لله » من حب المشركين
لآلهتهم لانهم اخلصوا له الحب وأوردوه به . أما حب المشركين
لآلهتهم فهو موزع بينها ، ولا شك أن الحب اذا كان لجهة واحدة
كان امكن واغوى . وقيل : المعنى انهم يحبون آلهتهم كحب المؤمنين
له والذين آمنوا اشد حبا لله من الكفار لاندادهم .

وَقَوْلُهُ (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّةِ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا) — يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

وأما قوله تعالى (وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) الآية ، فقد تقدم الكلام في معنى الحمد ، وأنه الثناء باللسان على النعمة وغيرها ، وقلنا ان اثبات الحمد له سبحانه متضمن لاثبات جميع الكمالات التي لا يستحق الحمد المطلق الا من بلغ غايتها .

ثم نفى سبحانه عن نفسه ما يناfi كمال الحمد من الولد والشريك والولي من الذل ، اى من فقر وحاجة ، فهو سبحانه لا يوالى احدا من خلقه من اجل ذلة وحاجة اليه ، ثم أمر عبده ورسوله أن يكبره تكبيرا ، اى يعظمه تعظيما وينزله عن كل صفة نقص وصفه بها اعداؤه من المشركين .

وأما قوله (يسبح لله ، الخ) فالتسبيح هو التثنية والابعاد عن السوء كما تقدم .

ولا شك أن جميع الاشياء في السموات وفي الارض تسبح بحمد ربها وتشهد له بكمال العلم والقدرة والعزة والحكمة والتدبير والرحمة قال تعالى (وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)

وقد اختلف في تسبيح الجمادات التي لا تنطق هل هو بلسان الحال أو بلسان المقال وعندى أن الثانى أرجح بدليل قوله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) اذ لو كان المراد تسبيحها بلسان الحال لكان ذلك معلوما فلا يصح الاستدراك ، وقد قال تعالى خبرا عن داود عليه السلام (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له اواب) .

وَقَوْلُهُ (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ
فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) .

وَقَوْلُهُ (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ
إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ —

وأما قوله تعالى (تبارك الذى الخ) فقد قلنا ان معنى تبارك
من البركة وهى دوام الخير وكثرته ولكن لا يلزم من تلك الزيادة
سبق النقص ، فان المراد تجدد الكمالات الاختيارية التابعة لمشيئته
وقدرته ، فانها تتجدد فى ذاته على وفق حكمته ، فالخلو عنها قبل
اقتضاء الحكمة لها لا يعتبر نقصا .

وقد فسر بعضهم التبارك بالثبات وعدم التغير ، ومنه سميت
البركة لثبوت مائها وهو بعيد ، والمراد بالفرقان القرآن ،سمى
بذلك لقوة تفرقته بين الحق والباطل والهدى والضلال ، والتعبير
(ينزل) بالتشديد لامادة التدرج فى النزول ، وأنه لم ينزل جملة
واحدة ، والمراد بعبدته محمد صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه بلقب
العبودية للتشريف كما سبق ، والعالمين جمع عالم ، وهو جمع لم يعقل ،
واختلف فى المراد به ، فقل الانس ، وقل الانس والجن ، وهو
والصحيح ، فقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم مرسل الى الجن
ايضا ، وأنه يجتمع بهم ويقرأ عليهم القرآن ، وأن منهم نفرا أسلم
حين سمع القرآن وذهب ينذر قومه به ، كما قال تعالى (وإذ صرفنا
إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا
فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين) والنذير والمنذر هو من يعلم بالشئ
مع التخويف وضده البشير أو المبشر وهو من يخبرك بما يسرك .
وقوله (ما اتخذ الله من ولد الخ) تضمنت هذه الآية الكريمة

عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ، فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

ايضا جملة من صفات التنزيه التى يراد نفي ما لا يليق بالله عز وجل عنه ، فقد نزه سبحانه نفسه فيها عن اتخاذ الولد وعن وجود الهه خالق معه وعما يصفه به المفترون الكذابون ، كما نهى عن ضرب الامثال له والاثراك به بلا حجة ولا برهان ، والقول عليه سبحانه بلا علم ولا دليل .

فهذه الآية تضمنت اثبات توحيد الالهية واثبات توحيد الربوبية ، فان الله بعدما اخبر عن نفسه بعدم وجود الهه معه اوضح ذلك بالبرهان القاطع والحجة الباهرة فقال (اذا) اى اذ لو كان معه آلهة كما يقول هؤلاء المشركون لذهب كل اله بما خلق ولعملا بعضهم على بعض .

وتوضيح هذا الدليل ان يقال : اذا تعددت الالهة فلا بد ان يكون لكل منهم خلق وفعل ولا سبيل الى التعاون فيما بينهم فان الاختلاف بينهم ضرورى ، كما ان التعاون بينهم فى الخلق يقتضى عجز كل منهم عند الانفراد ، والعاجز لا يصلح الها ، فلا بد ان يستقل كل منهم بخلقه وفعله ، وحينئذ فاما ان يكونوا متكافئين فى القدرة لا يستطيع كل منهم ان يقهر الآخرين ويغلبهم فيذهب كل منهم بما خلق ويختص بملكه كما يفعل ملوك الدنيا من انفراد كل بملكته اذا لم يجد سبيلا لقهر الآخرين ، واما ان يكون أحدهم أقوى من الآخرين فيغلبهم ويقتهرهم وينفرد دونهم بالخلق والتدبير ، فلا بد اذا مع تعدد الالهة من أحد هذين الامرين ، اما ذهاب كل بما خلق او علو بعضهم على بعض .

وذهاب كل بما خلق غير واقع لانه يقتضى التنافر والانفصال بين

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

أجزاء العالم مع أن المشاهدة تثبت أن العالم كله كجسم واحد مترابط
الأجزاء متنسق الانحاء فلا يمكن أن يكون إلا اثرا لاله واحد وعلو
بعضهم على بعض يقتضى أن يكون الاله هو العالى وحده .

وأما قوله تعالى (فلا تضربوا لله الامثال) فهو نهى له أن يشبهوه
بشيء من خلقه فانه سبحانه له المثل الاعلى الذى لا يشركه فيه مخلوق .

وقد قدمنا انه لا يجوز أن يستعمل فى حقه من الاقيسة ما يقتضى
المماثلة أو المساواة بينه وبين غيره كقياس التمثيل وقياس الشمول .
وانما يستعمل فى ذلك قياس الأولى الذى مضمونه أن كل كمال
وجودى غير مستلزم للعدم ولا للنقص بوجه من الوجوه اتصف
به المخلوق ، فالخالق أولى أن يتصف به لانه هو الذى وهب المخلوق
ذلك الكمال ، ولانه لو لم يتصف بذلك الكمال مع امكان أن يتصف
به لكان فى الممكنات من هو اكمل منه وهو محال وكذلك كل نقص
يثنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه .

وأما قوله (قل انما حرم الخ) فانما اداة تصر تنيد اختصاص
الاشياء المذكورة بالحرمة فيفهم أن من عداها من الطيبات فهو
مباح لا حرج فيه ، كما امدته الآية التى قبلها .

والفواحش جمع فاحشة وهى الفعل المتناهية فى القبح وخصها
بعضهم بما تضمن شهوة ولذة من المعاصى كالزنا واللواط ونحوهما
من الفواحش الظاهرة ، وكالكبر والعجب وحب الرياسة من
الفواحش الباطنة .

وَقَوْلُهُ (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) فِي سَبْعِ مَوَاضِعَ ، فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ قَوْلُهُ (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) وَقَالَ فِي سُورَةِ يُنُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) .

وأما الائم فمنهم من فسرّه بمطلق المعصية فيكون المراد منه ما دون الفاحشة ، ومنهم من خصه بالخمر فانها جُماع الائم ، وأما البغى بغير الحق فهو التسلط والاعتداء على الناس من غير أن يكون ذلك على جهة القصاص والمماثلة .

وقوله (وإن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) وحرّم أن تعبدوا مع الله غيره وتتقربوا إليه بأي نوع من أنواع العبادات والقربات كاللّعاء والنذر والذبح والخوف والرجاء ونحو ذلك ، مما يجب أن يخلص فيه العبد قلبه ويسلم وجهه لله وحرّم أن يتخذوا من دونه سبحانه أولياء يشرعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله في عباداتهم ومعاملاتهم كما فعل أهل الكتاب مع الإخبار والرهبان حيث اتخذوهم أربابا من دون الله في التشريع فأحلوا ما حرم الله وحرّموا ما أحل الله فاتبعوهم في ذلك وقوله « ما لم ينزل به سلطانا » قيد لبيان الواقع ، فإن كل ما عبد أو اتبع أو أطيع من دون الله قد فعل به ذلك من غير سلطان .

وأما القول على الله بلا علم فهو باب واسع جدا يدخل فيه كل خبر عن الله بلا دليل ولا حجة ، كنفى ما أثبتّه أو أثبات ما نفاه أو الإلحاد في آياته بالتحريف والتأويل .

قال العلامة ابن القيم في كتابه أعلام الموقعين (وقد حرم الله القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات

وَقَالَ فِي سُورَةِ الرُّمِّ (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ (وَقَالَ فِي سُورَةِ طه (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
اسْتَوَى) وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) .

بل جعله في المرتبة العليا منها (قال تعالى (قل انما حرم ربى الفواحش
ما ظهر منها وما بطن) الآية ، فرتب المحرمات أربع مراتب وبدأ
بأسهلها وهو الفواحش وثنى بها هو اشد تحريما منه وهو الاثم والظلم
ثم ثلث بها هو اعظم تحريما منها وهو الشرك به سبحانه ثم ربح بها
هو اعظم تحريما من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم وهذا يعم
القول عليه سبحانه بلا علم في اسمائه وصفاته وأفعاله في دينه
وشرعه .

وقوله (الرحمن على العرش استوى الخ) هذه هي المواضع
السبعة التي أخبر فيها سبحانه باستوائه على العرش وكلها قطعية
القبوت ، لانها من كتاب الله ، فلا يملك الجهمي المعطل لها ردا ولا
انكارا ، كما انها صريحة في بابها لا تحتل تأويلا ، فان لفظ استوى في
اللغة اذا عدى بعلى لا يمكن أن يفهم منه الا العلو والارتفاع ، ولهذا لم
تخرج تفسيرات السلف لهذا اللفظ عن أربع عبارات ، ذكرها العلامة
ابن القيم في النونية حيث قال :

فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطُّمَّانِ
وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ أَرَضَى
وَكَذَلِكَ قَدْ صَوَّغَ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي
يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ

فاهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر به سبحانه من نفسه من
انه مستو على عرشه بائن من خلقه بالكيفية التي يعلمها هو جل شأنه
كما قال مالك وغيره (الاستواء معلوم والكيف مجهول) أما ما يشغب

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْمَسْجِدِ (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ
(هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)

به اهل التعطيل من ايراد اللوازم الفاسدة على تقرير الاستواء فهمى
لا تلزمنا لاتنا لا نقول بان موقيته على العرش كنفوقية المخلوق على
المخلوق .

واما ما يحاولون به صرف هذه الايات الصريحة عن ظواهرها
بالتأويلات الفاسدة التى تدل على حيرتهم واضطرابهم كتفسيرهم
استوى باستولى او حملهم (على) على معنى الى واستوى بمعنى قصد
الى آخر ما نقله عنهم حامل لواء التجهم والتعطيل زاهد الكوثرى فكلها
تشغيب بالباطل وتغيير فى وجه الحق لا يغنى عنهم فى قليل ولا كثير
وليت شعرى ماذا يريد هؤلاء المعطلة أن يقولوا ؟ ايريدون أن يقولوا
ليس فى السماء رب يقصد ولا فوق العرش اله يعبد ؟ ماين يكون اذن ؟
ولعلمهم يضحكون منا حين نسال عنه باين ، ونسوا ان اكمل الخلق
واعلمهم بربهم صلوات الله عليه وسلامه قد سال عنه باين حين قال
للجارية اين الله ؟ ورضى جوابها حين قالت فى السماء ، وقد اجاب
كذلك من ساله باين كان ربنا قبل ان يخلق السموات والارض بانه
كان فى عماء ، الحديث ، ولم يرو عنه انه زجر السائل ولا قال له
انك غلطت فى السؤال .

ان قصارى ما يقوله المتحذلق منهم فى هذا الباب ان الله تعالى
كان ولا مكان ، ثم خلق المكان وهو الآن على ما كان قبل خلق المكان
فماذا يعنى هذا المخرف بالمكان الذى كان الله ولم يكن ؟ هل يعنى
به تلك الامكنة الوجودية التى هى داخل محيط العالم ؟ فهذه امكنة

وَقَوْلُهُ (يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطْ إِلَيَّ) — بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ —
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ — يَا هَامَانَ ابْنِ لَيْلَى
صَرَحًا نَعْلَى أَلْبَغُ الْأَسْبَابَ —

حادثة ونحن لا نقول بوجود الله في شيء منها إذ لا يحصره ولا يحيط
به شيء من مخلوقاته .

وأما إذا أراد بها المكان العدمي الذي هو خلاء محض لا وجود
فيه ، فهذا لا يقال انه لم يكن ثم خلق ، إذا لا يتعلق به الخلق فانه
أمر عدمي — فإذا قيل ان الله في مكان بهذا المعنى كما دلت عليه
الآيات والاحاديث فما محذور في هذا ؟

بل الحق ان يقال كان الله ولم يكن شيء قبله ثم خلق السموات
والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ثم استوى على العرش ،
و (ثم) هنا للترتيب الزمني لا لمجرد العطف .

وقوله (يا عيسى الخ) هذه الآيات جاءت مؤيدة لما دلت عليه
الآيات السابقة من علوه تعالى وارتفاعه فوق العرش مبينا للخلق ،
وناعية علي المعطلة جحودهم وانكارهم لذلك ، تعالى الله عما يقولون
علوا كبيرا . ففي الآية الاولى ينادى الله رسوله وكلمته عيسى بن
مريم عليه الصلاة والسلام بانسه متوفيه ورافعه اليه حين دبر
اليهود قتله ، والضمير في قوله (الى) هو ضمير الرب جل شلته لا يحتل
غير ذلك ، فتاويله بان المراد الى محل رحمتي او مكان ملائكتي الخ
لا معنى له ومثل ذلك يقال أيضا في قوله سبحانه ردا على ما ادعاه
اليهود من قتل عيسى وصلبه (بل رفعه الله اليه) .

وقد اختلف في المراد بالتوفي المذكور في الآية فحمله بعضهم على
الموت ، والاكثر على أن المراد به النوم ، ولفظ التوفي يستعمل
فيه قال تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) ؟

أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا .
وَقَوْلُهُ (أَلَمْ تَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ
تَمُورُ . أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ
نَذِيرٌ) —

ومنه من زعم أن في الكلام تقدما وتأخيرا وأن التقدير أنى
رائعك ومتوفيك ، أى مميتك بعد ذلك . والحق أنه عليه السلام
رفع حيا وأنه سينزل قرب قيام الساعة لصحة الحديث بذلك .

وأما قوله سبحانه (إليه يصعد الكلم الطيب) فهو صريح أيضا
في صعود أقوال العباد وأعمالهم إلى الله عز وجل يصعد بها الكرام
الكاثبون كل يوم عقب صلاة العصر وعقب صلاة الفجر كما جاء في
الحديث (فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم — وهو أعلم — كيف
تركتم عبادى؟ فيقولون ياربنا آتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون ؟

وأما قوله سبحانه حكاية عن فرعون (ياهايمان ... الخ) فهو دليل
على أن موسى عليه السلام أخبر فرعون الطاغية بأن الهة في السماء
نأراد أن يتلصص الأسباب للوصول إليه تمويهها على قومه ، فأمر وزيره
هايمان أن يبني له الصرح ، ثم عقب على ذلك بقوله (وإنى لأظنه)
— أى موسى — كاذبا فيما أخبر به من كون الهة في السماء . فمن إذا
أشبهه بفرعون وأقرب إليه نسبا ؟ نحن أم هؤلاء المعطلة ؟ أن فرعون
كذب موسى في كون الهة في السماء ، وهو نفس ما يقوله هؤلاء .

قوله (أَلَمْ تَنْتُمْ الخ) هاتان الآيتان فيهما التصريح بأن الله عز
وجل في السماء ولا يجوز حمل ذلك على أن المراد به العذاب أو
الامر أو الملك كما يفعل المعطلة لأنه قال (من) وهى للعاقل ، وحملها
على الملك أخرج اللفظ عن ظاهره بلا قرينة توجب ذلك .

ولا يجوز أن يفهم من قوله في السماء أن السماء ظرف له سبحانه

(هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ، يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) .

بل ان اريد بالسماء هذه المعروفة ، ففى بمعنى (على) كما فى قوله تعالى (لاصْلِبْنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) وان اريد بها جهة العلو (ففى) على حقيقتها فانه سبحانه فى أعلى العلو .

قوله (هو الذى خلق السموات الخ) تضمنت هذه الآية الكريمة اثبات صفة المعية له عز وجل وهى على نوعين :

١ — معية عامة : شاملة لجميع المخلوقات ، فهو سبحانه مع كل شىء بعلمه وقدرته وقهره واحاطته ، لا يغيب عنه شىء ولا يعجزه ، وهذه هى المعية المذكورة فى الآية .

ففى هذه الآية يخبر عن نفسه سبحانه بأنه هو وحده الذى خلق السموات والارض يعنى أوجدهما على تقدير وترتيب سابق فى مدة ستة أيام ، ثم علا بعد ذلك وارتفع على عرشه لتدبير أمور خلقه ، وهو مع كونه فوق عرشه لا يغيب عنه شىء من العالمين العلوى والسفلى ، فهو يعلم ما يلج ، أى يدخل فى الارض ، وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج ، أى يصعد فيها — ولا شك أن من كان علمه وقدرته محيطين بجميع الاشياء فهو مع كل شىء ، ولذلك قال (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) .

قوله (ما يكون من نجوى الخ) يثبت سبحانه شمول علمه واحاطته بجميع الاشياء ، وأنه لا يخفى عليه نجوى المتناجين ، وأنه شهيد على الاشياء كلها مطلع عليها .

واضافة « نجوى » الى ثلاثة من اضافة الصفة الى الموصوف

وَقَوْلُهُ (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ — لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا)

والتقدير ما يكون من ثلاثة نجوى ، اى متحاجين .

واما الايات الباتية فهي فى اثبات المعية الخاصة التى هى معيته لرسله تعالى واوليائه بالنصر والتأييد والمحبة والتوفيق والالهام .

فقوله تعالى (لا تحزن ان الله معنا) حكاية عما قاله عليه الصلاة والسلام لابى بكر الصديق وهما فى الفار ، فقد احاط المشركون بفم الفار عندما خرجوا فى طلبه عليه السلام ، فلما رأى أبو بكر ذلك انزعج وقال : والله يا رسول الله لو نظر احدهم تحت قدميه لبصرنا ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ما حكاك الله عز وجل هنا (لا تحزن ان الله معنا) .

فالمراد بالمعية هنا معية النصر والعصبة من الاعداء .

واما قوله (اننى معكما اسمع وأرى) فقد تقدم الكلام ؟
وانها خطاب لموسى وهارون عليهما السلام ان لا يخافا بطش فرعون بهما ، لان الله عز وجل معهما بنصره وتأييده .

وكذلك بقية الايات يخبر الله فيها عن معيته للمتقين الذين يراقبون الله عز وجل فى أمره ونهيه ويحفظون حدوده وللمحسنين الذين يلتزمون الاحسان فى كل شىء ، والاحسان فى كل شىء بحسبه فهو فى العبادة مثلا أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك كما جاء فى حديث جبريل عليه السلام .

وكذلك يخبر عن معيته للصابرين الذين يحبسون انفسهم على

وَقَوْلُهُ (إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى - إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ - وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ - كَمْ مِنْ نَفْسٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ مِثْلَهُ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) .
وَقَوْلُهُ (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا - وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا)

ما تكره ويتحملون المشاق والاذى فى سبيل الله وابتغاء وجهه صبرا على طاعة الله وصبرا عن معصيته وصبرا على قضائه .

تضمنت هذه الآيات اثبات صفة الكلام لله عز وجل .

وقد تنازع الناس حول هذه المسألة نزاعا كبيرا . فمنهم من جعل كلامه سبحانه مخلوقا منفصلا منه ، وقال ان معنى متكلم خالق للكلام وهم المعتزلة . ومنهم من جعله لازما لذاته أزلا وأبدا لا يتعلق بمشيئته وقدرته ونفى عنه الحرف والصوت وقال انه معنى واحد فى الازل ، وهم الكلابية والاشعرية .

ومنهم من زعم انه حروف واصوات قديمة لازمة للذات ، وقال انها مقترنة فى الازل ، فهو سبحانه لا يتكلم بها شيئا بعد شئء وهم بعض الفلاة .

ومنهم من جعله حادثا قائما بذاته تعالى ومتعلقا بمشيئته وقدرته ولكن زعم ان له ابتداء فى ذاته وأن الله لم يكن متكلم فى الازل ، وهم الكرامية . ويطول بنا القول لو اشتغلنا بمناقشة هذه الاقوال وافسادها على ان فسادها بين لكل ذى فهم سليم ونظر مستقيم .

وخلاصة مذهب اهل السنة والجماعة فى هذه المسألة ان الله تعالى لم يزل متكلم اذ شاء ، وان الكلام صفة له قائمة بذاته يتكلم بها بمشيئته وقدرته ، فهو لم يزل ولا يزال متكلم اذ شاء وما تكلم الله به فهو قائم به ليس مخلوقا منفصلا عنه كما تقول المعتزلة ولا لازما

١ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ - وَتَبْتَ كَلِمَةً رَبُّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا (وَقَوْلُهُ (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا - مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ - وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ - وَنَقَّيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيبًا) وَقَوْلُهُ (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ - وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ) .

اذا انه لزوم الحياة لها كما تقول الاشارة بل هو تابع لمشيئته وقدرته .

والله سبحانه نادى موسى بصوت ونادى آدم وحواء بصوت ، وينادى عباده يوم القيامة بصوت ويتكلم بالوحي بصوت ، ولكن الحروف والاصوات التى تكلم الله بها صفة له غير مخلوقة ولا تشبه اصوات المخلوقين وحروفهم ، كما ان علم الله الغائب بذاته ليس مثل علم عباده ، فان الله لا يماثل المخلوقين فى شىء من صفاته .

والآيتان الاوليان هنا وهما من سورة النساء تنفيان ان يكون احد اصدق حديثا وقولا من الله عز وجل ، بل هو سبحانه اصدق من كل احد فى كل ما يخبر به ، وذلك لان علمه بالحقائق المخبر عنها اشمل واضبط ، فهو يعلمها على ما هى به من كل وجه ، وعلم غيره ليس كذلك .

واما قوله (واذا قال الله يا عيسى الخ) فهو حكاية لما سيكون يوم القيامة من سؤال الله لرسوله وكلمته عيسى عما نسبته اليه الذين الهوه وامه من النصارى من انه هو الذى امرهم بان يتخذوه وامه الهين من دون الله . وهذا السؤال لاطهار براءة عيسى عليه السلام وتسجيل الكذب والبهتان على هؤلاء الضالين الاغبياء .

واما قوله (وتبت كلمة ربك صدقا وعدلا) فالمراد صدقا فى اخباره وعدلا فى احكامه لان كلامه تعالى اما اخبار وهى كلها نسي غاية الصدق ، واما امر ونهى وكلها فى غاية العدل الذى لا جور فيه

وَقَوْلُهُ (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ — وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ — وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّمُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ — يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ — وَاتَّكُ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) .

لابتنائها على الحكمة والرحمة ، والمراد بالكلمة هنا الكلمات لانها اضيفت الى معرفة تفهيد معنى الجمع كما في قولنا رحمة الله ونعمة الله .

واما قوله (وكلم الله موسى تكليما) وما بعدها من الآيات التي تدل على ان الله قد نادى موسى وكلمه تكليما ، ونواجه حقيقة من وراء حجاب وبلا واسطة ملك ، فهي ترد على الاشاعرة الذين يجعلون الكلام معنى قائما بالنفس بلا حرف ولا صوت ، فيقال لهم كيف سمع موسى هذا الكلام النفسى ؟ فان قالوا ان الله فى قلبه علما ضروريا بالمعاني التي يريد ان يكلمه بها لم يكن هناك خصوصية لموسى فى ذلك ، وان قالوا ان الله خلق كلاما فى الشجرة او فى الهواء ونحو ذلك لزم ان تكون الشجرة هى التي قالت لموسى (انى انا ربك) .

وكذلك ترد عليهم هذه الآيات فى جعلهم الكلام معنى واحدا فى الازل لا يحدث منه فى ذاته شئ ، فان الله يقول (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) فهى تفيد حدوث الكلام عند مجيء موسى للميقات ، ويقول (وناديناه من جانب الطور الايمن) فهذا يدل على حدوث النداء عند جانب الطور الايمن ، والنداء لا يكون الا صوتا مسموعا . وكذلك قوله تعالى فى شأن آدم وحواء (وناداهما ربهما) الآية ، فان هذا النداء لم يكن الا بعد الوقوع فى الخطيئة فهو حادث قطعا . وكذلك قوله تعالى (ويوم يناديهم الخ) فبان

وَقَوْلُهُ (إِنْ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ - لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَائِصًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ - وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزَلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

هذا النداء والقول سيكون يوم القيامة ، وفي الحديث « ما من عبد الا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه ترجمان » .

قوله (وان احد من المشركين الخ) هذه الآيات الكريمة تفيد ان القرآن المتلو المسموع المكتوب بين دفتي المصحف هو كلام الله على الحقيقة وليس فقط عبارة او حكاية عن كلام الله كما يقوله الاشعرية ، واضافته الى الله عز وجل تدل على انه صفة له قائمة به وليست كاضافة البيت او الناقة ، فانها اضافة معنى الى الذات تدل على ثبوت المعنى لتلك الذات بخلاف اضافة البيت او الناقة فانها اضافة اعيان - وهذا يرد على المعتزلة في قولهم انه مخلوق منفصل عن الله ، ودلت هذه الآيات ايضا على ان القرآن منزل من عند الله بمعنى ان الله تكلم به بصوت سمعه جبريل عليه السلام ، فنزل به واداه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سمعه من الرب جل شانه .

وخلاصة القول في ذلك ان القرآن العربي كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود . والله تكلم به على الحقيقة ، فهو كلامه حقيقة لا كلام غيره واذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرج ذلك عن ان يكون كلام الله ، فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من بلغه مؤديا والله تكلم بحروفه ومعانيه بلفظ نفسه ليس شيء منه كلاما لغيره لا لجبريل ولا لمحمد ولا لغيرهما والله تكلم به ايضا بصوت نفسه ، فاذا قرأه العباد قراؤه بصوت

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُسْلِمِينَ . وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ
إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) وَقَوْلُهُ (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى
رَبِّهَا نَاطِرَةٌ — عَلَى الْأَرْثَاءِ يَنْظُرُونَ — لِلَّذِينَ احْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)

أنفسهم ، فإذا قال القارئ مثلا (الحمد لله رب العالمين) كان هذا
الكلام المسموع منه كلام الله لا كلام نفسه وكان هو قراه بصوت
نفسه لا بصوت الله . وكما أن القرآن كلام فكذا هو كتابه لانه
كتبه في اللوح المحفوظ ولانه مكتوب في المصاحف قال تعالى (انه
لقرآن كريم في كتاب مكفون) وقال (انه لقرآن مجيد في لوح محفوظ)
وقال (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) .

والقرآن في الاصل مصدر كالقراءة ، كما في قوله تعالى (ان
قرآن الفجر كان مشهودا) .

ويراد به هنا أن يكون علما على هذا المنزل من عند الله المكتوب
بين دفتي المصحف المتعبد بتلاوته المتحدى باقتصر سورة منه .

وقوله (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) يدل على ان
ابتداء نزوله من عند الله عز وجل ، وأن روح القدس جبريل
عليه السلام تلقاه عن الله سبحانه بالكيفية التي يعلمها .

قوله (وجوه يومئذ ناضرة الخ) هذه الآيات تثبت رؤية
المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة في الجنة .

وقد نفاهما المعتزلة بناء على نفيتهم الجهة عن الله لان المرئى يجب
أن يكون في جهة من الرأى ، وما دامت الجهة مستحيلة وهى شرط في
الرؤية فالرؤية كذلك مستحيلة ، واحتجوا من النقل بقوله تعالى
(لا تدركه الابصار) وقوله لموسى عليه السلام حين سألته الرؤية

وَقَوْلُهُ (لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) .
وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَثِيرٌ . مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِباً لِلْهُدَى
مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ .

(لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) .
واما الاشاعرة فهم مع نفيهم الجهة كالمعتزلة يثبتون الرؤية ،
ولذلك حاروا في تفسير تلك الرؤية ، فمنهم من قال يرونة — من
جميع الجهات ومنهم من جعلها رؤية بالبصيرة لا بالبصر ، وقال
المقصود زيادة الانكشاف والتجلى حتى كانت رؤية عين .

وهذه الآيات التي أوردها المؤلف حجة على المعتزلة في نفيهم
الرؤية . فان الآية الاولى عَدَّى النظر فيها بالى فيكون بمعنى الإبصار
يقال نظرت اليه وأبصرته بمعنى ومتعلق النظر هو الرب جل شانه .
واما ما يتكلمه المعتزلة من جعلهم (ناظرة) بمعنى منتظرة و (الى)
بمعنى النعمة ، والتقدير « ثواب ربها منتظرة » فهو تأويل مضحك .

واما الآية الثانية فتفيد ان اهل الجنة وهم على أرائكهم ،
يعنى أسرتهم — جمع أريكة — ينظرون الى ربهم .

واما الآيتان الاخيرتان فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
تفسير الزيادة بالنظر الى وجه الله عز وجل ويشهد لذلك أيضا قوله
تعالى في حق الكفار (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فدل حجب
هؤلاء على ان أوليائه يرونه ، وأحاديث الرؤية متواترة في المعنى عند
اهل العلم بالحديث لا ينكرها الا ملحد زنديق .

واما ما احتج به المعتزلة من قوله تعالى (لا تدركه الأبصار)
فلا حجة لهم فيه ، لان نفي الادراك لا يستلزم نفي الرؤية ، فالمراد

لن الابصار تراه ولكن لا تحيط به رؤية كما أن العقول تعلمه ولكن لا تحيط به علما ، لان الإدراك هو الرؤية على جهة الاحاطة فهو رؤية خاصة ونفى الخاص لا يستلزم نفي مطلق الرؤية وكذلك استدلالهم على نفي الرؤية بقوله تعالى لموسى عليه السلام (لن ترانى) لا يصلح دليلا بل الآية تدل على الرؤية من وجوه كثيرة منها :

١ - وقوع السؤال من موسى وهو رسول الله وكليمه ، وهو أعلم بما يستحيل في حل الله من هؤلاء المعتزلة ، فلو كانت الرؤية بمنفعة لما طلبها .

٢ - أن الله عز وجل علق الرؤية على استقرار الجبل حال التجلى وهو ممكن والمطلق على الممكن ممكن .

٣ - أن الله تجلى للجبل بالفعل وهو جواد ، فلا يمتنع إذا أن يتجلى لأهل محبته واصفيائه .

وأما قولهم أن (لن) لتأبيد النفي وانها تدل على عدم وقوع الرؤية أصلا فهو كذب على اللغة ، فقد قال تعالى حكاية عن الكفار (ولن يتمنوه أبدا) ثم قال (ونادوا يا مالك ليقتض علينا ربك) فأخبر عن عدم تمنيههم للموت (بلن) ثم أخبر عن تمنيههم له وهم في النار .

وإذا فمعنى قوله (لن ترانى) لن تستطيع رؤيتى في الدنيا لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته سبحانه ، ولو كانت الرؤية بمنفعة لذاتها لقال انى لا أرى أو لا يجوز رؤيتى أو لست بمرى ونحو ذلك والله أعلم .

(مباحث عامة حول آيات الصفات)

ان الناظر في آيات الصفات التى ساقها المؤلف - رحمه الله -

يستطيع أن يستنبط منها قواعد وأصولاً هامة يجب الرجوع إليها في هذا الباب .

الأصل الأول : اتفق السلف على أنه يجب الإيمان بجميع الأسماء الحسنى وما دلت عليه من الصفات وما ينشأ عنها من الأفعال ، مثال ذلك (القدرة) مثلاً يجب الإيمان بأنه سبحانه على كل شيء قدير . والإيمان بكمال قدرته ، والإيمان بأن قدرته نشأت عنها جميع الكائنات ، وهكذا بقية الأسماء الحسنى على هذا النمط . وعلى هذا فما ورد في هذه الآيات التي ساقها المصنف من الأسماء الحسنى فأنها داخلة في الإيمان بالاسم ، وما فيها من ذكر الصفات مثل عزة الله وقدرته وعلمه وحكمته وأرادته ومشيبته فأنها داخلة في الإيمان بالصفات وما فيها من ذكر الأفعال المطلقة والمقتيدة ، مثل يعلم كذا ويحكم ما يريد ، ويرى ويسمع ، وينادي ويناجي ، وكلم ويكلم ، فأنها داخلة في الإيمان بالأفعال .

الأصل الثاني : دلت هذه النصوص القرآنية على أن صفات الباري قسمان :

١ — صفات ذاتية لا تنفك عنها الذات ، بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً ولا تتعلق بها . مشيبته تعالى وقدرته ، وذلك كصفات الحياة والعلم والقدرة والقوة والعزة والملك والعظمة والكبرياء والجد والجلال الخ .

٢ — صفات فعلية تتعلق بها مشيبته وقدرته كل وقت وآن وتحدث بمشيبته وقدرته ، آحاد تلك الصفات من الأفعال وإن كان هو لم يزل موصوفاً بها بمعنى أن نوعها قديم وأمرادها حادثة ، فهو سبحانه لم يزل فعلاً لما يريد ، ولم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الأمور وأفعاله تقع شيئاً فشيئاً تبعاً لحكمته وأرادته فعلى المؤمن الإيمان بكل ما نسبته الله لنفسه من الأفعال المتعلقة

بذاته كالاستواء على العرش والمجيء والاتيان والنزول الى السماء الدنيا ، والضحك والرضى والغضب والكراهية والمحبة المتعلقة بخلقه كالخلق والرزق والاحياء والاماتة وانواع التدبير المختلفة .

الاصل الثالث : اثبات تفرد الرب جل شأنه بكل صفة كمال وانه ليس له شريك او مثيل في شىء منها

وما ورد في الآيات السابقة من اثبات المثل الاعلى له وحده ونفى الند والمثل والكفاء والسمى والشريك عنه يدل على ذلك كما يدل على أنه منزّه من كل نقص وعيب وآفة .

الاصل الرابع : اثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات ، لا فرق بين الذاتية منها كالعلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر ونحوها ، والفعلية كالرضا والمحبة والغضب والكراهة ، وكذلك لا فرق بين اثبات الوجه واليدين ونحوهما ، وبين الاستواء على العرش والنزول ، فكلها مما اتفق السلف على اثباته بلا تأويل ولا تعطيل ، وبلا تشبيه وتمثيل .

والمخالف في هذا الاصل فريقان :

١ — الجهمية : ينفون الاسماء والصفات جميعا .

٢ — المعتزلة : فانهم ينفون جميع الصفات ويثبتون الاسماء والاحكام ، فيقولون عليم بلا علم وتقدير بلا قدرة وحى بلا حياة الخ . وهذا القول في غاية الفساد ، فان اثبات موصوف بلا صفة واثبات ما للصفة للذات المجردة محال في العقل كما هو باطل في الشرع .

اما الاشعرية ومن تبعهم فانهم يوافقون اهل السنة في اثبات سبع صفات يسمونها صفات المعاني ويدعون ثبوتها بالعقل وهى

(مَمْلُ)

ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ
الْقُرْآنَ وَتُبَيِّنُهُ وَتُذَلِّلُ عَلَيْهِ وَتُعَبِّرُ عَنْهُ .

الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام ، ولكنهم
وانفقوا المعتزلة في نفى ما عدا هذه السبع من الصفات الخيرية التي
صح بها الخبر .

والكل محجوجون بالكتاب والسنة واجماع الصحابة والقرون
المفضلة على الإثبات العام .

قوله (ثم في سنة رسول الله) عطف على قوله فيما تقدم ، وقد
دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الاخلاص الخ
يعنى ودخل فيها ما وصف به الرسول صلى الله عليه وسلم ربه فيما
وردت به السنة الصحيحة .

والسنة هي الاصل الثاني الذي يجب الرجوع اليه ، والتمويل
عليه بعد كتاب الله عز وجل قال تعالى (وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة) والمراد بالحكمة السنة ، وقال (ويعلمهم الكتاب والحكمة)
وقال امرا لنساء نبيه (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله
والحكمة) وقال سبحانه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا) وقال صلوات الله وسلامه عليه وآله (الا انى اوتيت القرآن
ومثله معه) وحكم السنة حكم القرآن في ثبوت العلم واليقين والاعتقاد
والعمل ، فان السنة توضيح للقرآن وبيان للمراد منه تفصل مجمله
وتتقيد مطلقة وتخصص عمومها ، كما قال تعالى (وانزلنا اليك الذكر
لنبين للناس ما نزل اليهم) .

واهل البدع والاهواء بازاء السنة الصحيحة فريقان :

وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْأَحَادِيثِ الصَّاحِحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ ، وَجَبَّ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ .
 مِنْ ذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ ، فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

١ — فريق لا يتورع عن ردها وانكارها إذا وردت بما يخالف مذهبه بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تنيد إلا الظن ، والواجب مسمى باب الاعتقاد هو اليقين ، وهؤلاء هم المعتزلة والفلاسفة .

٢ — وفريق يثبتها ويعتقد بصحة النقل ولكنه يشتغل بتأويلها كما يشتغل بتأويل آيات الكتاب حتى يخرجها عن معانيها الظاهرة إلى ما يريد من معان بالالحاد والتحريف ، وهؤلاء هم متأخرو الأشعرية وأكثرهم توسعا في هذا الباب الغزالي والرازي .

قوله (وما وصف الرسول به الخ) يعنى أنه كما وجب الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل ، كذلك يجب الإيمان بكل ما وصفه به أعلم الخلق بربه ومما يجب له وهو رسوله الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وآله .

قوله (كذلك) أى إيماننا مثل ذلك الإيمان خاليا من التحريف والتعطيل ومن التكيف والتمثيل بل اثبات لها على الوجه اللائق بعظمة الرب جل شأنه .

قوله (فمن ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم الخ) الكلام على هذا الحديث من جهتين (الأولى) صحته من جهة النقل وقد ذكر المؤلف رحمه الله أنه متفق عليه . ويقول الذهبي في كتابه « العلل للعلل الفخار » أن أحاديث النزول متواترة تنيد القطع ، وعلى هذا فلا مجال

لأنكار أو جحود .

(الثانية) ما يفيد هذا الحديث وهو إخباره صلى الله عليه وسلم بنزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة الخ . ومعنى هذا أن النزول صفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله وعظمته ، فهو لا يماثل نزول الخلق كما أن استواءه لا يماثل استواء الخلق .

يقول شيخ الاسلام رحمه الله في تفسير سورة الاخلاص :

« فالرب سبحانه اذا وصفه رسوله بأنه ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة وأنه يدنو عشية عرفة الى الحجاج وأنه كلم موسى في الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة وأنه استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الاعمال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الاعيان المشهوده حتى يقال ذلك يستلزم تفرغ مكان وشغل آخر .

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالنزول صفة حقيقية لله عز وجل على الكيفية التي يشاء فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة ، ويقفون عند ذلك فلا يكيفون ولا يمثلون ولا ينفون ولا يعطلون ، ويقولون ان الرسول أخبرنا أنه ينزل ولكنه لم يخبرنا كيف ينزل ، وقد علمنا أنه فعال لما يريد ، وأنه على كل شيء قدير .

ولهذا ترى خواص المؤمنين يتعرضون في هذا الوقت الجليل لالطاف ربهم ومواهبه ، فيقومون لعبوديته خاضعين خاشعين داعين متضرعين يرجون منه حصول مطالبهم التي وعدهم بها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرْحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَجْدِكُمْ بِرَاجِلَتِهِ» الْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

قوله (لله أشد فرحا بالخ) تنمة هذا الحديث كما في البخارى وغيره « لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل بأرض فلاة دويصة مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فنزل عنها فنام وراحلته عند رأسه فاستيقظ وقد ذهبت ، فذهب في طلبها فلم يقدر عليها حتى أدركه الموت من العطش فقاتل والله لارجعن فلأموتن حيث كان رحلى فرجع فنام فاستيقظ فاذا راحلته عند رأسه فقال اللهم انت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح » .

وفى هذا الحديث اثبات صفة الفرح لله عز وجل والكلام فيه كالكلام فى غيره من الصفات أنه صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به ، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته ، فيحدث له هذا المعنى المعبر عنه بالفرح عندما يحدث عبده التوبة والانابة اليه وهو مستلزم لرضاه عن عبده التائب وقبوله توبته . واذا كان الفرح فى المخلوق على أنواع فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب وقد يكون فرح أشير وبطر ، فالله عز وجل منزّه عن ذلك كله ، ففرحه لا يشبه فرح أحد من خلقه لا فى ذاته ولا فى أسبابه ولا فى غاياته ، فسببه كمال رحمته وإحسانه التى يجب من عباده أن يتعرضوا لها ، وغايته اتمام نعمته على التائبين المنيبين .

وأما تفسير الفرح بلازمه وهو الرضى وتفسير الرضا بارادة الثواب ، فكل ذلك نفى وتعطيل لفرحه ورضاه سبحانه ، أوجبه سوء ظن هؤلاء المعطلة بربهم حيث توهموا أن هذه المعاتى تكون فيه كما هى فى المخلوق — تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ
كَلَامًا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وَقَوْلُهُ « عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ خَيْرِهِ ، يُنْظَرُ إِلَيْكُمْ
أَزْلَيْنِ قَتْلَيْنِ فَيُظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ قَرْجَكُمْ قَرِيبٌ » حَدِيثٌ حَسَنٌ .

قوله (يضحك الله الى رجلين الخ) : يثبت أهل السنة والجماعة الضحك لله عز وجل كما افاده هذا الحديث وغيره على المعنى الذى يليق به سبحانه والذى لا يشبهه ضحك المخلوقين عندما يستخفهم الفرح أو يستتزمهم الطرب ، بل هو معنى يحدث فى ذاته عند وجود مقتضيه ، وانما يحدث بمشيئته وحكمته ، فان الضحك انما ينشأ فى المخلوق عند ادراكه لامر عجيب يخرج عن نظائره ، وهذه الحالة المذكورة فى هذا الحديث ، كذلك فان تسليط الكافر على قتل المسلم مدعاة فى بادئ الراى لسخط الله على هذا الكافر وخذلانه ومعاقبته فى الدنيا والآخرة ، فاذا من الله على هذا الكافر بعد ذلك بالتوبة وهداه للدخول فى الاسلام وقاتل فى سبيل الله حتى يستشهد فيدخل الجنة كان ذلك من الامور العجيبة حقا .

وهذا من كمال رحمته واحسانه وسعة فضله على عباده سبحانه ، فان المسلم يقاتل فى سبيل الله ويقتله الكافر ، فيكرم الله المسلم بالشهادة ، ثم يمن على ذلك القاتل فيهديه للاسلام والاستشهاد فى سبيله فيدخلان الجنة جميعا .

واما تاويل ضحكه سبحانه بالرضا او القبول او ان الشئ حل عنده بمحل ما يضحك منه ، وليس هناك فى الحقيقة ضحك فهو نفى لما اثبتته رسول الله صلى الله عليه وسلم لربه فلا يلتفت اليه .

قوله (عجب ربنا الخ) هذا الحديث يثبت لله عز وجل صفة العجب وفى معناه قوله عليه الصلاة والسلام « عجب ربك من شاب

ليس له صبوة » وقرا ابن مسعود رضى الله عنه « بل عجبوا ويسخرون » بضم التاء على أنها ضمير الرب جل شأنه .

وليس عجبه سبحانه ناشئا عن خفاء في الاسباب أو جهل بحقائق الامور كما هو الحال في عجب المخلوقين بل هو معنى يحدث له سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمته وعند وجود مقتضيه ، وهو الشيء الذى يستحق أن يتمجب منه .

وهذا المعجب الذى وصف به الرسول ربه هنا من آثار رحمته وهو من كماله تعالى ، فاذا تأخر الغيث عن العباد مع فقرهم وشدة حاجتهم واستولى عليهم اليأس والقنوط وصار نظرهم قاصرا على الاسباب الظاهرة ، وحسبوا أن لا يكون وراءها فرج من القريب المجيب فيعجب الله منهم .

وهذا محل عجب حقا اذ كيف يقتنطون ورحمته وسعت كل شيء والاسباب لحصولها قد توفرت ، فان حاجة العباد وضرورتهم من اسباب رحمته ، وكذا الدعاء بحصول الغيث والرجاء في الله من اسبابها وقد جرت عادته سبحانه في خلقه أن الفرج مع الكرب وأن اليسر مع المسر وأن الشدة لا تدوم ، فاذا انضم الى ذلك قوة التجاء وطبع في فضل الله ، وتضرع اليه ودعاء ، فتح الله عليهم من خزائن رحمته ما لا يخطر على البال .

والقنوط مصدر قنط يقنط وهو اليأس من رحمة الله ، قال تعالى (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) .

قوله : (وقرب خيره) أى فضله ورحمته وقد روى (غيره) والغير اسم من قولك غير الشيء متغير ، وفي حديث الاستسقاء « من يكفر بالله يلق الغير » أى تغير الحال وانتقالها من الصلاح الى الفساد .

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رَجُلَهُ » (فِي رِوَايَةٍ « عَلَيْهَا قَدَمُهُ فَيَنْزِلُ وَيَبْعَثُهَا إِلَى بَعْضِ مُتَقُولٍ قَطَّ قَطَّ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
 وَقَوْلُهُ : « يَقُولُ تَعَالَى يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَكَيْتَ وَسَعَدَيْكَ فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .
 وَقَوْلُهُ « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ » .

قوله (ازلين قنطين) حالان من الضمير المجرور في اليكم ،
 وأزلين جميع أزول اسم فاعل من الأزل بمعنى الشدة والضيقة ، يقال
 أزل الرجل يأزل أزالاً من باب فرح أى صار فى ضيق وجذب .

قوله (لا تزال جهنم الخ) فى هذا الحديث اثبات الرجل والقدم
 لله عز وجل ، وهذه الصفة تجرى مجرى بقية الصفات فنثبت لله
 على الوجه اللائق بعظمته سبحانه . والحكمة فى وضع رجله سبحانه
 فى النار أنه قد وعد أن يملأها كما فى قوله تعالى (لاملأن جهنم
 من الجنة والناس اجمعين) .

ولما كان مقتضى رحمته وعدله أن لا يعذب أحدا بغير ذنب ،
 وكانت النار فى غاية العمق والسعة ، حقق وعده تعالى فوضع فيها
 قدمه ، فحينئذ يلاقى طرفاها ولا يبقى فيها فضل عن أهلها .

وأما الجنة فإنه يبقى فيها فضل عن أهلها مع كثرة ما أعطاهم
 وأوسع لهم فينشئ الله لها خلقا آخرين كما ثبت بذلك الحديث .

قوله (يقول تعالى يا آدم الخ) فى هذين الحديثين اثبات القول
 والنداء والتكليم لله عز وجل ، وقد سبق أن بينا مذهب أهل السنة
 والجماعة فى ذلك وأنهم يؤمنون بأن هذه صفات أفعال له سبحانه
 تابعة لمشيئته وحكمته ، فهو قال ويقول ، ونادى وينادى ، وكلّم

وَقَوْلُهُ فِي رَقِيَّةِ الْمَرِيضِ «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ ،
أَمَرَكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا رَحِمْتَكَ فِي السَّمَاءِ ، اجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي
الْأَرْضِ ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا ، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً
مِنْ رَحِمَتِكَ وَثَبِّتْهُ مِنْ شَفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَبْرَأَ » حَدِيثٌ حَسَنٌ
رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ - وَقَوْلُهُ « أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ »
حَدِيثٌ صَحِيحٌ .

ويتكلم ، وإن قوله ونداءه وتكليمه إنما يكون بحروف واصوات
يسمعهما من يناديه ويكلّمه ، وفي هذا رد على الإشاعة في قولهم
إن كلامه قديم وأنه بلا حرف ولا صوت .

وقد دل الحديث الثاني على أنه سبحانه سيكلّم جميع عباده بلا
واسطة ، وهذا تكليم عام ، لأنه تكليم محاسبة فهو يشمل المؤمن
والكافر والبر والفاجر ، ولا ينافيه قوله تعالى (ولا يكلّمهم الله)
لأن المنى هنا هو التكلّم بما يسر المكلم ، وهو تكليم خاص
ويقابله تكليمه سبحانه لأهل الجنة تكليم محبة ورضوان وإحسان .

قوله (ربنا الله الذي في السماء الخ) الحديث الأول صريح
في علوه تعالى وفوقيته فهو كقوله تعالى (أمنتّم من في السماء)
وقد سبق أن قلنا أن هذه النصوص ليس المراد منها أن السماء
ظرف حاو له سبحانه ، بل (في) إما أن تكون بمعنى على كما قاله
كثير من أهل العلم واللفظة .

و (في) تكون بمعنى على في مواضع كثيرة مثل قوله تعالى
(لاصلّبكنم في جذوع النخل) وأما أن يكون المراد من السماء جهة
العلو ، وعلى الوجهين فهي نص في علوه تعالى على خلقه .

وفي حديث الرقية المذكور توسل إلى الله عز وجل بالثناء عليه
بربوبيته وإلهيته وتقديس اسمه وعلوه على خلقه وعموم أمره

وَقَوْلُهُ « وَالْعَرْشُ نَوْقَ الْمَاءِ وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ » حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ .
وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ « أَيْنَ اللَّهُ ؟ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ ، قَالَ مَنْ أَنَا ؟ قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ اعْتَقَهَا فَأَيَّاهَا مُؤَمِّنَةً » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الشرعى وامره القدرى ، ثم توسل اليه برحمته التى شملت أهل سمواته جميعا ان يجعل لأهل الأرض نصيبا منها ، ثم توسل اليه بسؤال مغفرة الحوب وهو الذنب العظيم ، ثم الخطايا التى هى دونه ، ثم توسل اليه بربوبيته الخاصة للطيبين من عباده وهم الاتبياء واتباعهم التى كان من آثارها أن غفرهم بنعم الدين والدنيا الظاهرة والباطنة .

فهذه الوسائل المتنوعة الى الله لا يكاد يرد دعاء من توسل بها ، ولهذا دعا الله بعدها بالشفاء الذى هو شفاء الله الذى لا يدع مرضا الا ازاله ولا تعلق فيه لغير الله .

فهل يفقه هذا عباد القبور من المتوسلين بالذوات والاشخاص والحق والجاه والحرمة ونحو ذلك .

واما الحديث الثانى فقد تضمن شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم بالايمان للجارية التى اعترفت بعلوه تعالى على خلقه ، فدل ذلك على أن وصف العلو من أعظم أوصاف البارئ جل شأنه حيث خصه بالسؤال عنه دون بقية الأوصاف ، ودل أيضا على أن الايمان بعلوه المطلق من كل وجه هو من أعظم أصول الايمان ، فمن أتكره فقد حرم الايمان الصحيح .

والعجب من هؤلاء الحمقى من المعطلة النفاء زعيمهم أنهم أعلم بالله من رسوله ، فينفون عنه الاين بعدما وقع هذا اللفظ بعينه من الرسول مرة سائلا غيره ، كما فى هذا الحديث « ومرة مجيبا

« وَقَوْلُهُ » أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ «
حَدِيثٌ حَسَنٌ — وَقَوْلُهُ « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَمُتُّنْ
قَبْلَ وَجْهِهِ وَلَا مِنْ يَمِينِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ
أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ « مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

لمن سأل به بقوله أين كان ربنا .

وأما قوله (والعرش فوق الماء الخ) ففيه الجمع بين الإيمان
بعلوه تعالى على عرشه وباحاطة علمه بالموجودات كلها ، فسبحان
من هو عال في دنوه ، قريب في علوه .

قوله (أفضل الإيمان أن تعلم الخ) دلالة على أن أفضل الإيمان
هو مقام الإحسان والمراقبة ، وهو أن يعبد العبد ربه كأنه يراه
ويشاهده ، ويعلم أن الله معه حيث كان ، فلا يتكلم ولا يفعل
ولا يفوض في أمر ما إلا والله رقيب مطلع عليه ، قال تعالى
(وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل
إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه) .

ولا شك أن هذه المعية إذا استحضرها العبد في كل أحواله فإنه
يستحي من الله عز وجل أن يراه حيث نهاه أو أن يفترقه حيث
أمره فتكون عوناً له على اجتناب ما حرم الله والمصارعة التي يفعل
ما أمر به من الطاعات على وجه الكمال ظاهراً وباطناً ، ولا سيما
إذا دخل في الصلاة التي هي أعظم صلة ومناجاة بين العبد وربّه ،
فيخشع قلبه ويستحضر عظمة الله وجلاله ، فتقل حركاته ولا يسيء
الادب مع ربه بالبصق أمامه أو عن يمينه .

قوله (إذا قام أحدكم إلى الصلاة الخ) دل على أن الله عز وجل
يكون قبل وجه المصلي .

قال شيخ الإسلام في العقيدة الحموية : إن الحديث حق على

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ
وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، مُنْزِلَ
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ
أَنْتَ آخِذٌ بِعَاصِيَتِهَا ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ
بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ
دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ » رِوَايَةُ مُسْلِمٍ .

قَوْلُهُ (اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ الْخ) تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ إِثْبَاتَ أَسْمَائِهِ
وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ :
« أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَسْمَاءَ وَلَا غَائِبًا . إِنَّمَا
تَدْعُونَ سَمِيحًا بَصِيرًا قَرِيبًا ، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ
رَاحِلَتِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ظاهره وهو سبحانه فوق العرش ، وهو قبل وجه المصلى ، بل
هذا الوصف يثبت للمخلوق ، فان الانسان لو انه يناجى السماء او
يناجى الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه ،
وكانت ايضا قبل وجهه .

قوله (اللهم رب السموات ... الخ) تضمن الحديث اثبات اسمائه
تعالى الاول والاخر والظاهر والباطن ، وهى من الاسماء الحسنى ،
وقد فسرهما النبى صلى الله عليه وسلم بما لا يدع مجالا لقائل ، فهو
اعلم الخلق جميعا باسماء ربه وبالمعاني التى تدل عليها ، فلا يصح ان
يلتفت الى قول غيره ايا كان .

وفى الحديث ايضا يعلمنا نبينا صلوات الله وسلامه عليه وآله
كيف نثنى على ربنا عز وجل قبل السؤال ، فهو يثنى عليه بربوبيته
العامة التى انتظمت كل شىء ، ثم بربوبيته الخاصة الممثلة فى انزاله
هذه الكتب الثلاثة تحمل الهدى والنور الى عباده ، ثم يعوذ ويعتصم
به سبحانه من شر نفسه ومن شر كل ذى شر من خلقه ، ثم

« إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى الصَّلَاةِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَاَفْعَلُوا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

يسأله في آخر الحديث أن يقضى عنه دينه وإن يغنيه من فقر .
قوله (أيها الناس أربعوا على أنفسكم ... الخ) أفاد هذا الحديث قرب سبحاته من عباده ، وأنه ليس بحاجة الى أن يرفعوا اليه أصواتهم فإنه يعلم السر والنجوى ، وهذا القرب المذكور في الحديث قرب احاطة وعلم وسمع ورؤية فلا ينافى علوه على خلقه .

هذا الحديث الصحيح المنواتر يشهد لما دلت عليه الآيات السابقة من رؤية المؤمنين لله عز وجل في الجنة وتمتعهم بالنظر الى وجهه الكريم ، وهذه النصوص من الآيات والاحاديث تدل على أمرين :
اولهما : علوه تعالى عن خلقه لأنها صريحة في أنهم يرونه من فوقهم .
ثانيهما : أن أعظم أنواع النعيم هو النظر الى وجه الله الكريم .

وقوله (كما ترون القمر ليلة البدر) المراد تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئى بالمرئى ، يعنى أن رؤيتهم لربهم تكون من الظهور والوضوح كرؤية القمر في اكمل حالاته ، وهى كونه بدرا ولا يحجبه سحب ، ولهذا قال بعد ذلك (لا تضامون في رؤيته) روى بتشديد الميم من التضام بمعنى التزاحم والتلاصق ، والتاء يجوز فيها الضم والفتح ، على أن الاصل تتضامون فحذفت احدى التاءين تخفيفا ، وروى بتخفيف الميم من الضيم بمعنى الظلم ، يعنى لا يلحقكم في رؤيته ضيم ولا غبن .

وفي حثه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على صلاة العصر وصلاة العجر خاصة اشارة الى أن من حافظ عليهما في جماعة نال هذا النعيم الكامل الذى يضمحل بازائه كل نعيم ، وهو يدل على تأكيد هاتين

« إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ ، فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ ، بَلْ هُمْ الْوَسْطُ فِي فِرْقِ الْأُمَّةِ ، كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسْطُ فِي الْأُمَمِ . »

الصلاتين كما دل على ذلك الحديث الآخر « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر » متفق عليه .

قوله (إلى أمثال هذه الأحاديث الخ) لما كان ما ذكره المؤلف من الأحاديث ليس هو كل ما ورد في باب الصفات من الأخبار ، نبه على أن أمثال هذه الأحاديث التي ذكرها مما يخبر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبر به ، فإن حكمه كذلك وهو وجوب الإيمان بما يتضمنه من أسماء الله وصفاته ، ثم عاد فأكد معتقد أهل السنة والجماعة ، وهو أنهم يؤمنون بما وردت به السنة الصحيحة من صفات كائياتهم بما أخبر الله في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

ثم أخبر عن أهل السنة والجماعة بأنهم وسط بين الأمم السابقة قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ومعنى وسطا عدولا خيارا كما ورد الحديث بذلك .

فهذه الأمة وسط بين الأمم التي تنجح إلى الفلو الضار والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك ، فإن من الأمم من غلا في المخلوقين وجعل لهم من صفات الخالق وحقوقه ما جعل ، كالتنصاري الذين غلوا في المسيح والرهبان . ومنهم من جفا الأنبياء وأتباعهم حتى قتلهم

« فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ
الْجَهَنِّيَّةِ وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبَّهَةِ » .

ورد دعوتهم كاليهود الذين قتلوا زكريا ويحي وحاولوا قتل المسيح
ورموه بالبهتان ، وأما هذه الامة فقد آمنت بكل رسول أرسله الله
واعتقدت رسالتهم وعرفت لهم مقاماتهم الرفيعة التي فضلهم الله بها .
ومن الامم أيضا من استحلّت كل خبيث وطيب ، ومنها من حرم
الطيبات غلوا ومجازرة . وأما هذه الامة فقد أحل الله لها الطيبات
وحرم عليها الخبائث ، الى غير ذلك من الامور التي من الله على هذه
الامة الكاملة بالتوسط فيها .

نكذلك اهل السنة والجماعة متوسطون بين فرق الامة المتقدمة
التي انحرفت عن الصراط المستقيم .

قوله (فهم وسط في باب صفات الله الخ) يعنى أن اهل السنة
والجماعة وسط في باب الصفات بين من ينفيها ويعطل الذات العلية عنها
ويحرف ما ورد فيها من الآيات والاحاديث عن معانيها الصحيحة
الى ما يعتقده هو من معان بلا دليل صحيح ولا عقل صريح ، كتقولهم
رحمة الله ارادته الاحسان ، ويده قدرته ، وعينه حفظه ورعايته ،
واستواؤه على العرش استيلاؤه ، الى امثال ذلك من انواع النفي
والتعطيل التي اوقعهم فيها سوء ظنهم بربهم وتوهمهم أن قيام هذه
الصفات به لا يعقل الا على النحو الموجود في قيامها بالمخلوق .

ولقد احسن القائل حيث يقول :

وَقَصَّارِيْ أَمْرِ مَنْ أَوْ كَلَّ أَنْ ظَنُّوا الظَّنَّوْنَا
فَيَقُولُونَ عَلَى الرَّحْمَنِ مَا لَا يَعْلَمُونََا

وانما سمي اهل التعطيل جهمية نسبة الى الجهم بن صفوان

« وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَعْمَالِ اللَّهِ بَيْنَ الْجَبَرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ »

الترمذى رأس الفتنة والضلال وقد توسع في هذا اللفظ حتى أصبح يطلق على كل من نفى شيئاً من الأسماء والصفات ، فهو شامل لجميع فرق النفاة من فلاسفة ومعتزلة واشعرية وقرامطة باطنية .

ناهل السنة والجماعة وسط بين هؤلاء الجهمية النفاة وبين أهل التمثيل المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه ومثله بعباده ، وقد رد الله على الطائفتين بقوله (ليس كمثله شيء) فهذا يرد على المشبهة ، وقوله (وهو السميع البصير) يرد على المعطلة .

وأما أهل الحق فهم الذين يثبتون الصفات لله تعالى اثباتاً بلا تمثيل ، وينزهونه عن مشابهة المخلوقات تنزيهاً بلا تعطيل ، مجمعواً أحسن ما عند الفريقين ، أعنى التنزيه والاثبات ، وتركوا ما أخطأوا وأساعوا فيه من التعطيل والتشبيه .

قوله (وهم وسط الخ) قال الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز ابن مائع في تعليقه على هذه العبارة ما نصه :

اعلم أن الناس اختلفوا في أعمال العباد هل هي مقدورة للرب أم لا ؟ فقال جهم وأتباعه وهم الجبرية : أن ذلك الفعل مقدور للرب لا للعبد وكذلك قال الاشعري وأتباعه أن المؤثر في المقدور قدرة الرب دون قدرة العبد . وقال جمهور المعتزلة وهم القدرية ، أى نفاة القدر : أن الرب لا يقدر على عين مقدور العبد . واختلفوا هل يقدر على مثل مقدوره ، فأنشأه البصريون كابى على وأبى هاشم ، ونفاه الكعبي وأتباعه البغداديون .

وقال أهل الحق : أعمال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة وهى مخلوقة لله تعالى ، والحق سبحانه منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه ، فالجبرية غلوا في اثبات القدر فنشأوا فعل العبد أصلاً .

« وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللَّهِ بَيْنَ الْمُرْجَةِ وَالْوَعِيدَةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ »
« وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الْإِيمَانِ وَالَّذِينَ بَيْنَ الْحُرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ وَبَيْنَ الْمُرْجَةِ
وَالْجَهَنِّيَّةِ »

والمعتزلة نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله ولهذا كانوا مجوس
هذه الامة . وهدى الله المؤمنين اهل السنة لما اختلفوا فيه من
الحق باذنه . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، فقالوا العباد
فاعملون والله خالقهم وخالق امعالهم كما قال تعالى (والله خلقكم
وما تعملون) وانما نقلنا هذه العبارة بنصها لانها تلخيص جيد
لمذاهب المتكلمين في القدر وامعال العباد .

قوله (وفي باب وعيد الله الخ) يعنى ان اهل السنة والجماعة
وسط في باب الوعيد بين المفرطين من المرجئة الذين قالوا لا يضر
مع الايمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة . وزعموا ان الايمان
مجرد التصديق بالقلب وان لم ينطق به . وسهوا بذلك نسبة الى
الارجاء ، اى التأخير لانهم اخروا الاعمال عن الايمان .

ولا شك ان الارجاء بهذا المعنى كفر يخرج صاحبه عن الملة ،
فانه لا بد في الايمان من قول باللسان ، واعتقاد بالجنان ، وعمل
بالاركان ، فاذا اخل واحد منها لم يكن الرجل مؤمنا .

واما الارجاء الذى نسب الى بعض الائمة من اهل الكوفة
كأبي حنيفة وغيره ، وهو قولهم ان الاعمال ليست من الايمان ،
ولكنهم مع ذلك يوافقون اهل السنة على ان الله يعذب من يعذب
من اهل الكبائر بالنار ، ثم يخرجهم منها بالشفاعة وغيرها ، وعلى
انه لا بد في الايمان من نطق باللسان ، وعلى ان الاعمال المفروضة
واجبة يستحق تركها الذم والعقاب ، فهذا النوع من الارجاء ليس
كفرا وان كان قولا باطلا مبتدعا لاخراجهم الاعمال عن الايمان .

وأما الوعيدية فهم القائلون بأن الله يجب عليه عقلا أن يعذب
العاصي كما يجب عليه أن يثيب المطيع ، فمن مات على كبيرة ولم
يتب منها لا يجوز عندهم أن يغفر الله له ، ومذهبهم باطل مخالف
للكتاب والسنة ، قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء) وقد استفاضت الأحاديث في خروج عصاة
الموحدين من النار ودخولهم الجنة .

فمذهب أهل السنة والجماعة وسط بين نفاة الوعيد من المرجئة
وبين موجبيه من القدرية ، فمن مات على كبيرة عندهم فأمره
مفوض الى الله أن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه كما دلت عليه الآية
السابقة . وإذا عاقبه بها فانه لا يخلد خلود الكفار بل يخرج من النار
ويدخل الجنة .

قوله (وفي باب أسماء الإيمان الخ) كانت مسألة الأسماء والأحكام
من أول ما وقع فيه النزاع في الإسلام بين الطوائف المختلفة وكان
للأحداث السياسية والحروب التي جرت بين على ومعاوية رضي الله
عنهما في ذلك الحين وما ترتب عليها من ظهور الخوارج والرافضة
والقدرية أثر كبير في ذلك النزاع والمراد بالأسماء هنا أسماء الدين
مثل مؤمن ومسلم وكافر وفاسق الخ ، والمراد بالأحكام أحكام
أصحابها في الدنيا والآخرة .

فالخوارج الحرورية والمعتزلة ذهبوا الى أنه لا يستحق اسم
الإيمان الا من صدق بجنانه وأقر بلسانه وقام بجميع الواجبات
 واجتنب جميع الكبائر ، فمرتكب الكبيرة عندهم لا يسمى مؤمنا
 باتفاق بين الفريقين ، ولكنهم اختلفوا هل يسمى كافرا أو لا . فالخوارج
يسمونه كافرا ويستحلون دمه وماله ، ولهذا كفروا عليا ومعاوية
 وأصحابهما واستحلوا منهم ما يستحلون من الكفار .

« وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالْخَوَارِجِ »

وأما المعتزلة فقالوا ان مرتكب الكبيرة خرج من الايمان ولم يدخل في الكفر فهو بمنزلة بين المنزلتين ، وهذا أحد الاصول التي قام عليها مذهب الاعتزال .

واتفق الفريقان أيضا على أن من مات على كبيرة ولم يتب منها فهو مخلد في النار ، فوقع الاتفاق بينهما في امرين :
١ — نفى الايمان عن مرتكب الكبيرة .

٢ — خلوده في النار مع الكفار . ووقع الخلاف أيضا في موضعين أحدهما تسميته كافرا والثاني استحلال دمه وماله وهو الحكم الدنيوي .
وأما المرجئة فقد سبق بيان مذهبهم ، وهو أنه لا يضر مع الايمان معصية ، فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الايمان ولا يستحق دخول النار .

فمذهب أهل السنة والجماعة وسط بين هذين المذهبين فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن ناقص الايمان ، قد نقص من ايمانه بقدر ما ارتكب من معصية فلا ينفون عنه الايمان أصلا كالخوارج والمعتزلة ولا يقولون بأنه كامل الايمان كالمرجئة الجهمية ، وحكمه في الآخرة عندهم أنه قد يعفو الله عز وجل عنه فيدخل الجنة ابتداء أو يعذبه بقدر معصيته ثم يخرج ويخله الجنة كما سبق ، وهذا الحكم أيضا وسط بين من يقول بخلوده في النار وبين من يقول أنه لا يستحق على المعصية عقابا .

قوله (وفي أصحاب رسول الله الخ) المعروف أن الرافضة تبجحهم الله يسبون الصحابة رضي الله عنهم ويلعنونهم وربما كفروهم أو كفروا بعضهم والغالبية منهم مع سبهم لكثير من الصحابة والخلفاء يقولون في على وأولاده ويعتقدون فيهم الإلهية ، وقد ظهر هؤلاء في حياة على رضي الله عنه بزعامة عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديا واسلم وأراد أن يكيد

(فَمَضِلُّ)

وَقَدْ دَخَلَ فِيهَا ذِكْرُنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَواتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ عَلَى خَلْقِهِ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا يَعْلَمُ مَا هُمْ غَائِلُونَ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) .

للاسلام واهله كما كاد اليهود من قبل للنصرانية وامسدوها على اهلها ، وقد حرقهم على النار لاطفاء فتنتهم ، وروى عنه في ذلك قوله :

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُبْرًا

وأما الخوارج فقد قابلوا هؤلاء الروافض فكفروا عليا ومعاوية ومن معهما من الصحابة وقتلوههم واستحلوا دماءهم وأموالهم .

وأما أهل السنة والجماعة فكانوا وسطا بين غلو هؤلاء وتقصير أولئك وهداهم الله الى الاعتراف بفضل اصحاب نبيهم وانهم اكمل هذه الامة ايمانا واسلاما وعلما وحكمة ، ولكنهم لم يفلوا فيهم ولم يعتقدوا عصمتهم ، بل قاموا بحقوقهم واحبوههم لعظيم سابقتهم وحسن بلائهم في نصره الاسلام وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوله (وقد دخل فيها ذكرناه من الايمان الخ) صرح المؤلف هنا بمسألة علو الله تعالى واستوائه على عرشه بائنا من خلقه كما اخبر الله عن ذلك في كتابه وكما تواتر الخبر بذلك عن رسوله وكما اجمع عليه سلف الامة الذين هم اكملها عليا وايمانا ، مؤكدا بذلك ما سبق ان فكره في هذا الصدد ومشددا النكير على من انكر ذلك من الجهمية

وليس معنى قوله « وَهُوَ مَعَكُمْ » أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ فَإِنَّ هَذَا لَا نَوْجَهُ
اللُّغَةُ ، بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ
فِي السَّمَاءِ ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ .

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ مُهَيِّمٌ عَلَيْهِمْ مُطَّلِعٌ
عَلَيْهِمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ ، وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي
ذَكَرَهُ اللَّهُ — مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا — حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ
لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ ، وَلَكِنْ يُصَانُّ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ بِمِثْلِ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ
ظَاهِرَ قَوْلِهِ (فِي السَّمَاءِ) أَنَّ السَّمَاءَ نِظْلُهُ أَوْ تَبْلُّهُ ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِاجْتِمَاعِ
أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَسَّعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَهُوَ يَمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ، وَيَمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقْعَ
عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ .

والمعتزلة ومن تبعهم من الإشاعرة . ثم بين أن استواءه على عرشه
لا ينافي معيته وقربه من خلقه ، فإن المعية ليس معناها الاختلاط
والمجاورة الحسية ، وضرب لذلك مثلا بالقمر الذي هو موضوع في
السماء وهو مع المسافر وغيره أينما كان بظهوره واتصال نوره فإذا
جاز هذا بالنسبة للقمر وهو من أصغر مخلوقات الله أفلا يجوز بالنسبة
إلى اللطيف الخبير الذي احاط بعباده علما وقدرة والذي هو شهيد
مطلع عليهم يسمعهم ويراهم ويعلم سرهم ونجواهم ، بل العالم كله
سمواته وأرضه من العرش إلى الفرش كله بين يديه سبحانه كأنه
بنفقة في يد أحدنا ، أفلا يجوز لمن هذا شأنه أن يقال انه مع خلقه
مع كونه عاليا عليهم باثنا منهم فوق عرشه ؟ بلى يجب الإيمان بكل
من علوه تعالى ومعيته ، واعتقاد أن ذلك كله حق على حقيقته من
غير أن يساء فهم ذلك أو يحمل على معان فاسدة كان يفهم من قوله
(وهو معكم) معية الاختلاط والامتزاج كما يزعمه الطولية ، أو يفهم
من قوله (في السماء) أن السماء ظرف حاو له محيطة به . كيف

(فَضْلٌ)

وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) الْآيَةُ - وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنِّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقٍ رَاحِلَتِهِ » وَمَا ذَكَرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَجِيبِهِ ، لَا يُنَافِي مَا ذَكَرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُمُوتِهِ ، وَهُوَ عَالٍ فِي دُنُوِّهِ قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ .

وَمِنْ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَكِتَابِهِ الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنْزَلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً ، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً لَا كَلَامَ غَيْرِهِ

وقد وسع كرميه السموات والارض جميعا ؟ وهو الذي يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ، فسبحان من لا ييلغه وهم الواهمين ولا تدركه افهام العالمين .

قوله (وقد دخل في ذلك الايمان الخ) يجب الايمان بما وصف الله به نفسه من انه قريب مجيب ، فهو سبحانه قريب ممن يدعوه ويناجيه ، يسمع دعاءه ونجواه ويجيب دعاءه متى شاء وكيف شاء فهو تعالى قريب قرب العلم والاحاطة كما قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) .

وبهذا يتبين انه لا منافاة أصلا بين ما ذكر في الكتاب والسنة من قربته تعالى ومجيبته وبين ما فيها من علوه تعالى وفوقيته ، فهذه كلها نعوت له على ما يليق به سبحانه ليس كمثله شيء في شيء منها . قوله (ومن الايمان بالله وكتبه الخ) جعل المصنف الايمان بأن القرآن كلام الله داخلا في الايمان بالله لانه صفة من صفاته ،

وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ أَوْ عِبَارَةً بَلْ إِذَا قَرَأَهُ
النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى
حَقِيقَةً ، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا لَا إِلَى مَنْ
قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا ، وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ ، لَيْسَ كَلَامُ اللَّهِ
الْحُرُوفُ دُونَ الْمَعَانِي وَلَا الْمَعَانِي دُونَ الْحُرُوفِ ؟

فلا يتم الايمان به سبحانه الا بها ، اذ الكلام لا يكون الا صفة للمتكلم
والله سبحانه موصوف بأنه متكلم بما شاء متى شاء ، وانه لم يزل
ولا يزال يتكلم بمعنى أن نوع كلامه قديم وان كانت آحاده لا تزال تقع
شيئا بعد شيء بحسب حكمته .

وقد قلنا فيما سبق ان الاضافة في قولنا « القرآن كلام الله » هي
من اضافة الصفة للموصوف فتفيد ان القرآن صفة الرب سبحانه وانه
تكلم به حقيقة بالفاظه ومعانيه بصوت نفسه فمن زعم ان القرآن مخلوق
من المعتزلة فقد أعظم الفردية على الله ونفى كلام الله عن الله وصفا
وجعله وصفا لمخلوق وكان ايضا متجنبيا على اللغة فليس فيها متكلم
بمعنى خالق للكلام . ومن زعم ان القرآن الموجود بيننا حكاية عن كلام
الله كما تقول الكلابية أو أنه عبارة عنه كما تقول الاشعرية ، فقد
قال بنصف قول المعتزلة حيث فرق بين الالفاظ والمعاني ، فجعل
الالفاظ مخلوقة والمعاني عبارة عن الصفة القديمة ، كما أنه ضاهى
النصارى في قولهم بحلول اللاهوت وهو الكلمة في الناسوت وهو
جسد عيسى عليه السلام ، اذ قال بحلول المعاني التي هي الصفة
القديمة في هذه الالفاظ المخلوقة ، فجعل الالفاظ ناسوتا لها .

والقرآن كلام الله حيث تصرف ، فمهما كتبناه في المصاحف أو
تلوانه بالالسنه لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله ، لان الكلام كما
قال المصنف انها يضاف الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مبلِّغا

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضاً فِيهَا ذِكْرُنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ
وَبِرُسُلِهِ ، الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيْنَانِ بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا
يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوَاً لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةً الْبَدْرُ
لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ ، يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عُرْصَاتِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ
يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى .

مؤديا .

وأما معنى قول السلف (منه بدأ واليه يعود) فهو من البدء
يعنى أن الله هو الذى تكلم به ابتداء لم يبتدا من غيره ، ويحتمل
أن يكون من البدء بمعنى الظهور ، يعنى انه هو الذى تكلم به وظهر
منه لم يظهر من غيره ، ومعنى اليه يعود أى يرجع اليه وصفا ،
لانه وصفه القائم به ، وقيل معناه يعود اليه فى آخر الزمان حين
يرفع من المصاحف والصدور ، كما ورد فى اشراط الساعة .

وأما كون الايمان بأن القرآن كلام الله داخلا فى الايمان بالكتب
فان الايمان بها ايمانا صحيحا يقتضى ايمان العبد بأن الله تكلم بها
بالفاظها ومعانيها ، وأنها جميعا كلامه هو لا كلام غيره ، فهو
الذى تكلم بالتوراة بالعبرانية ، وبالاتجيل بالسريانية ، وبالقرآن بلسان
عربى مبين .

قوله (وقد دخل أيضا فيها ذكرناه الخ) تقدم الكلام على رؤية
المؤمنين لربهم عز وجل فى الجنة كما دلت على ذلك الآيات والاحاديث
الصريحة ، فلاحاجة بنا الى إعادة الكلام فيها .

غير أن قوله يروونه سبحانه وهم فى عرصات القيامة قد يؤهم
أن هذه الرؤية أيضا خاصة بالمؤمنين ولكن الحق أنها عامة لجميع

(فَصْلٌ)

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ . فَمَّا الْفِتْنَةُ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ : مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟ فَيُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ رَبِّيَ اللَّهُ ، وَالْإِسْلَامُ دِينِي وَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيِّي . وَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَعَلْتُهُ ، فَيُضْرَبُ بِمِزْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصُعِقَ — ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ .

اهل الموقف حين يجيء الرب لفصل القضاء بينهم كما يدل عليه قوله تعالى « هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام » الآية .

والعرصات جمع عرصة وهى كل موضع واسع لا بناء فيه .

قوله (ومن الايمان باليوم الآخر الخ) اذا كان الايمان باليوم الآخر احد الاركان الستة التى يقوم عليها الايمان فان الايمان به ايمانا تاما كاملا لا يتحقق الا اذا آمن العبد بكل ما اخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من امور الغيب التى تكون بعد الموت والضابط فى ذلك انها امور محكمة اخبر بها الصادق صلوات الله عليه وسلامه وآله وكل ممكن اخبر به الصادق يجب الايمان بوقوعه كما اخبر ، فان هذه الامور لا تستناد الا من خبر الرسول — فاهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كله .

واما اهل المروق والالحاد من الفلاسفة والمعتزلة فينكرون هذه الامور من سؤال القبر ومن نعيم القبر وعذابه والصراط والميزان

وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ وَيُلْجِمُهُمُ الْعُرْقُ ، فَيُنْتَصَبُ الْمَوَازِينُ فَيُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ .

وغير ذلك بدعوى أنها لم تثبت بالمثل ، والعقل عندهم هو الحاكم الأول الذي لا يجوز الايمان بشيء الا عن طريقه ، وهم يردون الاحاديث الواردة في هذه الامور بدعوى انها احاديث آحاد لا تقبل في باب الاعتقاد واما الآيات فيأولونها مما يصرفها عن معانيها . والاضافة في قوله (بفتنة القبر) على معنى (في) اى بالفتنة التى تكون في القبر واصل الفتنة وضع الذهب ونحوه على النار لتخليصه من الاضرار والعناصر الغربية ، ثم استعملت في الاخبار والامتحان . واما عذاب القبر ونعيمه فيدل عليه قوله تعالى في حق آل فرعون (النار يمرضون عليها غدوا وعشيا) وقوله سبحانه عن قوم نوح (مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « القبر اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار » .

والمرزبة بالتخفيف المطرقة الكبيرة ، ويقال لها ايضا رزبة بالهمزة والتشديد .

قوله (وتقوم القيامة الخ) يعنى القيامة الكبرى وهذا الوصف للتخصص احتراز به عن القيامة الصغرى التى تكون عند الموت كما في الخبر « من مات فقد قامت قيامته » وذلك ان الله عز وجل اذا اذن بانتضاء هذه الدنيا امر اسرافيل عليه السلام ان ينفخ في الصور النفخة الاولى فيصعق كل من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ، وتصبح الارض صعيدا جزا ، والجبال كتيها مهيلا ،

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ . وَتُنشَرُ السُّورَةُ الدَّوَاوِينَ ، وَهِيَ صَحَافَةُ الْأَعْمَالِ — فَاخْذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَآخِذْ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (وَكُنْ بِإِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ، اقْرَأْ كِتَابَكَ كَتَبْنَا فِي يَوْمِ الْيَوْمِ عَلَيْكَ حَسِيسًا) .

ويحدث كل ما أخبر الله به في كتابه لاسيما في سورتي التكويد والانفطار ، وهذا هو آخر أيام الدنيا ، ثم يامر الله السماء فتمطر مطرا كمنى الرجال أربعين يوما فينبت منه الناس في قبورهم — عجب انباهم وكل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب حتى اذا تم خلقهم وتركيبهم امر الله اسرافيل بان ينفخ في الصور النفخة الثانية فيقوم الناس من الاجداث احياء فيقول الكفار والمنافقون حينئذ (يا ويلنا من بعثنا من مردنا) ويقول المؤمنون (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) (١) ثم تحشرهم الملائكة الى الموقف حفاة غير منتعلين عراة غير مكتسبين غرلا غير مختنئين جمع اغرل وهو الاثلف ، والغرلة القلفة ، واول من يكتسى يوم القيامة ابراهيم كما في الحديث . وهناك في الموقف تدنو الشمس من رؤوس الخلائق ويلجمهم العرق ، فمنهم من يبلغ كعبه ، ومنهم من يبلغ ركبته ، ومنهم من يبلغ ثدييه ومنهم من يبلغ ترقوته كل على قدر عمله ، ويكون اناس في ظل الله عز وجل ، فاذا اشد بهم الامر وعظم الكرب استشفعوا الى الله عز وجل بالرسول والانبياء ان ينقذهم مما هم فيه ، وكل رسول يحيلهم على من بعده حتى ياتوا نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول : انا لها ويشفع فيهم فينصرفون الى فصل القضاء وهناك تنصب الموازين فتوزن بها اعمال العباد وهي

(١) ويؤيد ذلك قوله تعالى « وقال الذين اوتوا العلم والايمان » الآية.

وَيَحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلَائِقَ وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مَيَّزُهُ بِذُنُوبِهِ ، كَمَا

موازين حقيقية كل ميزان منها له لسان وكفتان ويقلب الله أعمال العباد (وهى أمراض) أجساما لها ثقل فتوضع الحسنات فى كفة والسيئات فى كفة كما قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) .

ثم تنشر الدواوين وهى صحائف الأعمال فلما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا ، وأما من أوتى كتابه بشماله أو من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا ويقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه . قال تعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يفادى صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) .

وأما قوله تعالى (وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه) فقد قال الراغب أى عمله الذى طار عنه من خير وشر ولكن الظاهر أن المراد بالطائر هنا نصيبه فى هذه الدنيا وما كتب له فيها من رزق وعمل كما فى قوله تعالى (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) يعنى ما كتب عليهم فيه .

قوله (ويحاسب الله الخلائق الخ) المراد بذلك المحاسبة تذكيرهم وانباؤهم بما قدموه من خير وشر أحصاه الله ونسوه قال تعالى : ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون . وفى الحديث الصحيح « من نوقش الحساب عذب » فقالت عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله أو ليس الله يقول - (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) ؟ فقال : إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب يهلك .

وأما قوله (ويخلو بعبده المؤمن) فقد ورد عن ابن عمر رضى

وَصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَلَا يَحَاسِبُونَ مُحَاسِبَةَ
مَنْ تَوَزَّنَ حَسَنَاتَهُ وَسَيِّئَاتَهُ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتٍ لَهُمْ وَلَكِنْ تَعَدُّ أَعْمَالُهُمْ
فَنُحْصَى فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيَقْرَأُونَ بِهَا .

وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الْحَوْضُ الْمُرْوَدُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِائَةٌ أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، إِنِّيئَهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ
طُولُهُ شَهْرٌ وَعَرْضُهُ شَهْرٌ ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَداً .

الله عنهما أن الله عز وجل يدنى منه عبده المؤمن فيضع عليه كنفه
ويحاسبه فيما بينه وبينه ويقرره بذنوبه ، فيقول : ألم تفعل كذا
يوم كذا ، ألم تفعل كذا يوم كذا حتى إذا قرره بذنوبه وأيقن أنه
قد هلك قال له : سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم .

وأما قوله (فإنه لا حسنات لهم) يعنى الكفار لقوله تعالى
(وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وقوله (مثل
الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف
لا يقدرون مما كسبوا على شيء) والصحيح أعمال الخير التي يعملها
الكافر يجازى بها في الدنيا فقط حتى إذا جاء يوم القيامة وجد صحيفة
حسناته بيضاء وقيل يخفف بها عنه من عذاب غير الكفر .

وأما قوله (في عرصات القيامة) فان الاحاديث الواردة في ذكر
الحوض تبلغ حد التواتر رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيا
فمن أنكره فإلحق به أن يحال بينه وبين وردوه يوم العرش الأكبر
وقد ورد في احاديث : ان لكل نبي حوضا ولكن حوض نبينا صلى
الله عليه وسلم أعظمها وأحلاها وأكثرها واردا جعلنا الله منهم بفضل
وكرم .

وَالصَّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ
وَالنَّارِ يَمُرُّ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْمَحِ الْبَصِيرِ ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيحِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ
الْجَوَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرَكَابِ الْإِبِلِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يَمْشِي مَشْيًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْحَفُ رَحْفًا وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَطِفُ خَطْفًا وَيُلْقَى
فِي جَهَنَّمَ قَالُ الْجِسْرُ عَلَيْهِ كَلَالِيْبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمَنْ مَرَّ عَلَى
الصَّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ
وَالنَّارِ ، فَيُقْتَصَرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ ، فَإِذَا هُذِبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي
دُخُولِ الْجَنَّةِ .

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَوَّلُ
مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ أُمَّتُهُ ، وَلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقِيَامَةِ
ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ : أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَى فَيُسْتَفْتَحُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يَقْضَى
بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ ، أَكْثَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى
ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ .

قوله (والصراط منصوب الخ) أصل الصراط الطريق الواسع
قليل سمي بذلك لانه يسترط السابلة ، أى يتعلمهم اذا سلكوه ، وقد
يستعمل في الطريق المعنوى كما في قوله تعالى (وان هذا صراطى
مستقيما فاتبعوه) .

والصراط الاخرى الذى هو الجسر الممدود على ظهر جهنم بين
الجنة والنار حق لا ريب فيه لورود خبر الصادق به ومن استقام
على صراط الله الذى هو دينه الحق فى الدنيا استقام على هذا الصراط
فى الآخرة وقد ورد فى وصفه انه ارق من الشعرة واحد من السيف .
قوله (وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم)
يعنى أول من يحرك حلقها طالبا ان يفتح له بابها كما قال عليه السلام

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ فَيُشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ،
وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَكِهِ .
وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّلَاثَةُ فَيُشْفَعُ بِمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ
لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَغَيْرِهِمْ ، فَيُشْفَعُ بِمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ
أَنْ لَا يَدْخُلَهَا ، وَيُشْفَعُ بِمَنْ كَفَّلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا .

« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تثشق عنه
الارض ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فادخلها ويدخلها معي
مقراء أمتي » يعني بعد دخول الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام
يكون مقراء هذه الامة أول الناس دخولا الجنة .

وأما قوله (وله صلى الله عليه وسلم في القيامة ثلاث شفاعات)
فأصل الشفاعة من قولنا : شفّع كذا بكذا إذا ضمّه إليه ، وسمى
الشافع شافعاً لانه يضم طلبه ورجاءه الى طلب المشفوع له .
والشفاعة من الامور التي ثبتت بالكتاب والسنة ، وأحاديثها
متواترة قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) فنفى الشفاعة
بلا اذن اقبأت للشفاعة من بعد الاذن قال تعالى عن الملائكة (وكم
من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله
لمن يشاء ويرضى) فبين الله الشفاعة الصحيحة وهي التي تكون
بإذنه ولجن يرتضى قوله وعمله .

وأما ما يتمسك به الخوارج والمعتزلة في نفى الشفاعة من مثل
قوله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) (ولا يقبل منها عدل ولا
تنفعها شفاعة — فمالنا من شافعين الخ) . فان الشفاعة المنفية هنا
هي الشفاعة في اهل الشرك . وكذلك الشفاعة الشركية التي يشتبهها
المشركون لاصنامهم ويثبتها النصارى للمسيح والرهبان ، وهي التي
تكون بغير اذن الله ورضاه .

وأما قوله (أما الشفاعة الاولى فيشفع في اهل الموقف حتى

وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ أَتَوَامًا يَغِيرُ شَفَاعَةَ بِلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَيَبْقَى
فِي الْجَنَّةِ فَضْلًا عَمَّنْ كَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، فَيُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا أَتَوَامًا
فَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ .

وَأَصْنَافٌ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ

يقضى بينهم) فهذه هي الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود الذي
يغبطه به النبيون والذي وعده الله أن يبعثه إياه بقوله (عسى أن يبعثك
ربك مقاما محمودا) يعنى يحمدّه عليه أهل الموقف جميعا وقد أمرنا
نبينا صلى الله عليه وسلم إذا سمعنا النداء أن نقول بعد الصلاة عليه
« اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة
الفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته . وأما قوله (وأما الشفاعة
الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة) يعنى أنهم وقد استحقوا
دخول الجنة لا يؤذن لهم بدخولها الا بعد شفاعة .

وأما قوله (وهاتان الشفاعتان خاصتان له) يعنى الشفاعة في
أهل الموقف والشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها ، وتنضم اليهما الثالثة
وهي شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض المشركين كما في شفاعته
لعمه أبى طالب فيكون في ضحضاح من نار . كما ورد بذلك الحديث
وأما قوله (وأما الشفاعة الثالثة فيشفع في من استحق النار)
وهذه هي الشفاعة التي ينكرها الخوارج والمعتزلة ، فان مذهبهم أن
من استحق النار لا بد أن يدخلها ومن دخلها لا يخرج منها لا بشفاعة
ولا بغيرها والاحاديث المستفيضة المتواترة ترد على زعمهم وتبطله .

وأما قوله (وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب الخ)
فاعلم أن أصل الجزاء على الأعمال خيرها وشرها ثابت بالعقل كما
هو ثابت بالسمع ، وقد نبه الله العقول الى ذلك في مواضع كثيرة من
كتابه مثل قوله تعالى (أقمسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا

وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْآثَارِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ . وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي مَنْ ابْتِغَاهُ وَجَدَهُ .

« وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ
وَشَرِّهِ . وَالْإِيمَانُ بِالْقَدْرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَمَّعُنُ ثَمَنَيْنِ .

فَالدَّرَجَةُ الْأُولَى الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِالْخَلْقِ وَهُمْ عَامِلُونَ
بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَرْلًا وَأَبْدًا وَعِلْمٌ جَمِيعٌ أَحْوَالِهِمْ مِنْ
الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَرْزَاقِ وَالْأَجَالِ ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ
مَقَادِيرَ الْخَلْقِ فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ مَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ :

ترجعون) (ايحسب الانسان ان يترك سدى) فانه لا يليق في حكمة
الحكيم ان يترك الناس سدى مهملين ، لا يؤمرون ولا ينهون ، ولا يثابون
ولا يعاقبون ، كما لا يليق بعدله وحكمته ان يسوى بين المؤمن
والكافر والبر والفاجر كما قال تعالى (لم نجعل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض لم نجعل المتقين كالفجار) فان
المقول الصحيحة تأبى ذلك وتشكره اشد الإنكار .

وكذلك نبههم الله على ذلك بما وقعه من ايامه في الدنيا من اكرام
الطائعين ، وخذلان الطاغين ، وأما تفاصيل الاجزية ومغاديرها
فلا يدرك الا بالسمع ، والنقول الصحيحة من المعصوم الذي لا ينطق
عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

والايمان بالقدر خيره وشره من الله تبارك وتعالى احد الاركان
الستة التي يدور عليها ملك الايمان كما دل عليه حديث جبريل وغيره
وكما دلت عليه الايات الصريحة من كتاب الله عز وجل .

اَكْتُبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ يُخْطِئُهُ
وَمَا أَخْلَاَهُ لَمْ يَكُنْ لِمُصِيبَةٍ جُفَّتِ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ كَمَا قَالَ
تَعَالَى (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ
إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (وَمَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا
فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)
وَهَذَا التَّعْدِيرُ التَّابِعُ لِمَلَمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةٍ وَتَفْصِيلًا
تَمَقَّدَ كَتَبَ فِي اللُّوحِ الْمُحْفُوظِ مَا شَاءَ ، وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِّينَ قَبْلَ
نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَقَالُ لَهُ اكْتُبْ

وقد ذكر المؤلف هنا أن الإيمان بالقدر على درجتين وأن كلا
منهما تتضمن شيئين ، فالدرجة الأولى تتضمن أولاً الإيمان بطلعه
القديم المحيط بجميع الأشياء وأنه تعالى علم بهذا العلم القديم الموصوف
به أزلاً وأبداً كل ما سيميله الخلق فيما لا يزال وعلم به جميع أحوالهم
من الطامعات والمعاصي والأرزاق والآجال . فكل ما يوجد من أعيان
وأوصاف ويقع من أعمال وأحداث فهو مطابق لما علمه الله عز وجل أزلاً
ثانياً أن الله كتب ذلك كله وسجله في اللوح المحفوظ ، فما علم
الله كونه ووقوعه من مقادير الخلائق وأصناف الموجودات وما يتبع
ذلك من الأحوال والأوصاف والأفعال ودقيق الأمور وجليلها تسد
أمر القلم بكتابته كما قال صلى الله عليه وسلم قدر الله مقادير الخلائق
قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على
الماء ، وكما قال في الحديث الذي ذكره المؤلف أن أول ما خلق الله القلم
قال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة .

وأول هنا بالنصب على الظرفية والمامل فيه قال أي له ذلك
أول ما خلقه وقد روى بالرفع على أنه مبتدأ خبره القلم ولهذا اختلف
العلماء في العرش والقلم أيهما خلق أولاً . وحكى الملامه ابن القيم في
ذلك قولين واختار أن العرش مخلوق قبل القلم ، قال في النونية :

رِزْقُهُ وَأَجَلُهُ وَعَمَلُهُ وَشَقِيٍّ أَمْ سَعِيدٍ وَنَحْوَ ذَلِكَ، مَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غَلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا وَمُنْكِرُوهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ : فَهِيَ مَثْبُتَةُ اللَّهِ النَّافِذَةُ وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سَكُونٍ إِلَّا بِمِثْقَلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ . وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ خَالَقُهُ سُبْحَانَهُ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ . وَجَمَعَ ذَلِكَ تَقَدُّ

وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي	كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدُّيَانِ
هَلْ كَانَ قَبْلَ الْمَرْتَضَى أَوْ هُوَ بَعْدَهُ	قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْمَعَالِي الْهَمْدَانِيِّ
وَالْحَقُّ أَنَّ الْمَرْتَضَى قَبْلَ لَأْتِيهِ	وَقَدْ كَتَبْتُ الْكِتَابَ كَانَ ذَا أَرْكَانٍ
وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَمَقُّبَتْ	بِإِبْجَادِهِ مِنْ غَيْرِ فَهْلٍ زَمَانٍ

وإذا كان القلم قد جرى بكل ما هو كائن الى يوم القيامة فكل ما يقع من كائنات واحداث فهو مطابق لما كتب فيه ، فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطاه لم يكن ليصيبه كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وغيره .

وهذا التقدير التابع للعلم القديم تارة يكون جملة كما في اللوح المحفوظ فان فيه مقادير كل شيء ، ويكون في مواضع تفصيلا يخص كل فرد كما في الكلمات الاربع التي يؤمر الملك بكتابتها عند نفع الروح في الجنين يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى ام سعيد فهذا تقدير خاص وهذا التقدير السابق على وجود الاشياء قد كان ينكره غلابة القدرية قديما مثل معبد الجهني وغيلان الدمشقي وكانوا يقولون ان الامر اثف . ومنكر هذه الدرجة من القدر كافر لانه انكر معلوما من الدين بالضرورة قد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع .

أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَنَهَاهُمْ عَنِ مَعْصِيَتِهِ . وَهُوَ سُبْحَانَهُ
يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُتَّسِقِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ، وَلَا
يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَلَا يُحِبُّ الْفُسَادَ .

قوله : (وأما الدرجة الثانية من القدر ... الخ) فهي تتضمن شيئين
أيضا أولهما الايمان بعموم مشيئته تعالى وإن ما شاء كان وما لم
يشأ لم يكن وأنه لا يقع في ملكه ما لا يريد وأن أفعال العباد من
الطاعات والمعاصي واقعة بتلك المشيئة العامة التي لا يخرج عنها
كائن سواء كان مما يحبه الله ويرضاه أم لا ، وثانيهما الايمان بأن
جميع الاشياء واقعة بقدرة الله تعالى وأنها مخلوقة له لا خالق لها
سواء ، لا فرق في ذلك بين أفعال العباد وغيرها ، كما قال تعالى
(والله خلقكم وما تعملون) .

ويجب الايمان بالامر الشرعى ، وإن الله تعالى كلف العباد لأمرهم
بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته ولا منافاة أصلا بين ما ثبت
من عموم مشيئته سبحانه لجميع الاشياء وبين تكليفه العباد بما شاء
من أمر ونهى ، فإن تلك المشيئة لا تنافي حرية العبد واختياره للفعل
ولهذا جمع الله بين المشيئتين بقوله (لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما
تشاقون الا أن يشاء الله رب العالمين) .

كما أنه لا تلازم بين تلك المشيئة وبين الأمر الشرعى المتعلق
بما يحبه الله ويرضاه ، فقد يشاء الله ما لا يحبه ويحب ما لا يشاء كونه
(فالاول) كمشيئته وجود ابليس وجنوده (والثانى) كمحبة ايمان
الكنار وطاعات الفجار وعدل الظالمين وتوبة الفاسقين ولو شاء
ذلك لوجد كله ، فانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً وَاللَّهُ خَالِقُ أَعْمَالِهِم وَالْعَبْدُ هُوَ الْمُؤْمِنُ

وكذلك لا منافاة بين عموم خلقه تعالى لجميع الاشياء وبين كون العبد فاعلا لفعله ، فالعبد هو الذى يوصف بفعله فهو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلى والصائم ، والله خالقه وخالق فعله لانه هو الذى خلق فيه القدرة والارادة اللتين بهما يفعل .

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدى غفر الله له واجزل مثوبته :

ان العبد اذا صلى وصام وفعل الخير او عمل شيئا من المعاصى كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح ، وذلك العمل السئ . وفعله المذكور بلا ريب قد وقع باختياره وهو يحس ضرورة انه غير مجبور على الفعل او الترك وانه لو شاء لم يفعل وكان هذا هو الواقع فهو الذى نص الله عليه فى كتابه ونص عليه رسوله حيث اضاف الاعمال صالحها وسيئها الى العباد واخبر انهم الفاعلون لها وانهم محدوحون عليها ان كانت سالحة ومثابون ، وملومون عليها ان كانت سيئة ومعاقبون عليها .

فقد تبين واتضح بلا ريب انها واقعة منهم باختيارهم وانهم اذا شاءوا فعلوا واذا شاءوا تركوا ، وان هذا الامر ثابت عقلا وحسا وشرا ومشاهدة .

ومع ذلك اذا اردت ان تعرف انها وان كانت كذلك واقعة منهم كيف تكون داخلية فى القدر وكيف تشملها المشيئة ؟ فيقال بئى شئ وقعت هذه الاعمال الصادرة من العباد خيرا وشرا ؟ فيقال بقدرتهم وارادتهم ، هذا يعترف به كل احد ، فيقال : ومن خلق قدرتهم وارادتهم ومشيئتهم ؟ فالجواب الذى يعترف به كل احد ان الله هو

وَالْكَافِرُ وَالْبُزُّ وَالْفَاجِرُ وَالْمُصَلِّي وَالصَّائِمُ وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ
وَلَهُمْ لِرِزْقِهِ لَزَادَةٌ وَاللَّهُ خَالِقُهُمْ وَقُدْرَتُهُمْ وَإِرَادَتُهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى (لِمَنْ شَاءَ
مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

الذى خلق قدرتهم وارادتهم ، والذى خلق ما به تقع الاعمال هو
الخالق للافعال فهذا هو الذى يحل الاشكال وينمكن العبد ان يعقل
بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار ، ومع ذلك فهو تعالى امد المؤمنين
باسباب والطلاف واعانات متنوعة وصرف عنهم الموانع كما قال صلى
الله عليه وسلم (اما من كان من اهل السعادة فسييسر لاهل اهل
السعادة) وكذلك خذل الفاسقين ووكلمهم الى انفسهم لانهم لم يؤمنوا
به ولم يتوكلوا عليه فولاهم ما تولوا لانفسهم . اهـ

وخلاصة مذهب اهل السنة والجماعة فى القدر وافعال العباد
ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أن الله سبحانه هو الخالق
لكل شيء من الاعيان والافعال والاصناف والافعال وغيرها وان مشيئته تعالى
عامة شاملة لجميع الكائنات فلا يقع منها شيء الا بتلك المشيئة وان
خلقه سبحانه الاشياء بمشيئته انما يكون وفقا لما علمه منها بعلمه
القديم ، ولما كتبه وقدره فى اللوح المحفوظ وان للعباد قدرة وارادة
تقع بها اعمالهم وانهم الفاعلون حقيقة لهذه الاعمال بمحض اختيارهم
وانهم لهذا يستحقون عليها الجزاء اما بالممدح والثوبة واما بالذم
والعقوبة وان نسبة هذه الاعمال الى العباد فعلا لا ينافي نسبتها الى
الله ايجادا وخلقاً لانه هو الخالق لجميع الاسباب التى وقعت بها .

وضل فى القدر طائفتان كما تقدم (الطائفة الاولى) القدرية نفاة
القدر الذين هم مجوس هذه الامة كما ورد ذلك فى بعض الاحاديث
مرفوعا وموقوفاً وهؤلاء ضلوا بالتفريط وانكار القدر وزعموا أنه

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدْرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَيَعْلَوُ فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ
الْإِثْبَاتِ حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ وَخَرَجُوا عَنْ أَعْمَالِ اللَّهِ
وَأَحْكَامِهِ حُكْمًا وَمَصَالِحَهَا .

(فَصْلٌ)

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ. قَوْلُ
الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ
بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْبَلَاءِ بِمُطْلَقِ
الْمَعَاصِي وَالْكِبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ بَلِ الْأَخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي

لا يمكن الجمع بين ما هو ثابت بالضرورة من اختيار العبد في فعله
ومسئوليته عنه ، وبين ما دلت عليه النصوص من عموم خلقه تعالى
مشيئته لان ذلك العموم في زعمهم ابطال لمسئولية العبد عن فعله
وهدم للتكاليف فرجحوا جانب الامر والنهي وخصصوا النصوص الدالة
على عموم الخلق والمشيئة بما عدا افعال العباد واثبتوا ان العبد
خالق لفعله بقدرته وارادته ، فاثبتوا خالقين غير الله ولهذا سموا
مجوس هذه الامة ، لان المجوس يزعمون ان الشيطان يخلق الشر
والاشياء المؤذية ، فعملوه خالقًا مع الله ، فكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ جَعَلُوا الْعِبَادَ
خَالِقِينَ مَعَ اللَّهِ .

(والطائفة الثانية) يقال لها الجبرية وهؤلاء غلوا في اثبات القدر
حتى اتكروا ان يكون للعبد فعل حقيقة بل هو في زعمهم لا حرية له
ولا اختيار ولا فعل كالريشة في مهب الرياح وانما تسند الانفعال اليه
مجازا فيقال صلى وصام وقتل وسرق كما يقال طلعت الشمس وجرت
الرياح ونزل المطر . فاتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة
لهم عليه ، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم ، واتهموه بالمعبث في

كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ (مَن عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ) وَقَالَ
(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا
عَلَى الْأُخْرَى . فَمَا تَلَوَا النَّبِيَّ حَتَّى تَقْضَى إِلَيْنَا أَمْرُ اللَّهِ فَإِنْ فَاتَتْ
فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)

تكليف العباد وإبطالوا الحكمة من الامر والنهى الا ساء ما يحكمون .
سبق ان ذكرنا فى مسألة الاسماء والاحكام ان اهل السنة والجماعة
يعتقدون ان الايمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالاركان وان
هذه الثلاثة داخلة فى مسمى الايمان المطلق . فالايان المطلق يدخل
فيه جميع الدين ظاهره وباطنه اصوله وفروعه ، فلا يستحق اسم
الايمان المطلق الا مع جمع ذلك كله ولم ينقص منه شيئا .

ولما كانت الاعمال والاقوال داخلة فى مسمى الايمان كان الايمان
قابلا للزيادة والنقص ، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية كما هو
صريح الادلة من الكتاب والسنة وكما هو ظاهر مشاهد من تفاوت
المؤمنين فى عقائدهم واعمال قلوبهم واعمال جوارحهم .

ومن الادلة على زيادة الايمان ونقصه ان الله قسم المؤمنين ثلاث
طبقات فقال سبحانه (ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله)
فالسابقون بالخيرات هم الذين اذوا الواجبات والمستحبات وتركوا
المحرمات والمكروهات وهؤلاء هم المقربون . والمقتصدون هم الذين
اقتصروا على اداء الواجبات وترك المحرمات . والظالمون لانفسهم هم
الذين اجتروا على بعض المحرمات وقصروا ببعض الواجبات مع بقاء
اصل الايمان معهم .

ومن وجوه زيادته ونقصه كذلك ان المؤمنين متفاوتون فى علوم
الايمان فمنهم من وصل اليه من تفاصيله وعقائده خير كثير فازداد به

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) ولا يسلبون الفاسق
الجلي الإسلام بالكلية وَلَا يُخْلَدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ هَلِ الْفَاسِقُ
يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُبْتَلَقِ كَمَا فِي قَوْلِهِ (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمَنَةٍ) وَقَدْ

إيمانه وتم يقينه ومنهم من هو دون ذلك حتى يبلغ الحال ببعضهم أن
لا يكون معه الا ايمان اجمالى لم يتيسر له من التفاصيل شيء ، وهو
مع ذلك مؤمن . وكذلك هم متفاوتون في كثير من أعمال القلوب
والجوارح وكثرة الطاعات وقلتها .

واما من ذهب الى أن الايمان مجرد التصديق بالقلب وأنه غير
قابل للزيادة أو النقص كما يروى عن أبى حنيفة وغيره فهو محجوج بما
ذكرنا من الأدلة قال عليه السلام (الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها
قول لا اله الا الله وأدناها إمطة الاذى عن الطريق) ومع أن الايمان
المطلق مركب من الأقوال والأعمال والاعتقادات فهي ليست كلها
بدرجة واحدة ، بل العقائد أصل في الايمان فمن أنكر شيئا مما يجب
اعتقاده في الله أو ملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر أو مما هو
معلوم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة وحرمة الزنا
والقتل الخ فهو كافر قد خرج من الايمان بهذا الإنكار .

واما الفاسق الملى الذى يرتكب بعض الكبائر مع اعتقاده حرمتها
فاهل السنة والجماعة لا يسلبون عنه اسم الايمان بالكلية ولا يخلدونه
في النار كما تقول المعتزلة والخوارج بل هو عندهم مؤمن ناقص الايمان
قد نقص من إيمانه بقدر معصيته أو هو مؤمن فاسق فلا يعطونه اسم
الايمان المطلق ولا يسلبونه مطلق الايمان .

وأدلة الكتاب والسنة دالة على ما ذكره المؤلف رحمه الله من
ثبوت مطلق الايمان مع المعصية قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَتَّخِذُوا عَدُوَّيْكُمْ وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) فناداهم باسم الايمان مع وجود

لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَا يَزِيهِ الزَّانِي حِينَ يَزْنِي ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرِبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْيَهُ ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ) .

وَنَقُولُ هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاذِنُكَ بِكِبِيرَتِهِ ، فَلَا يُعْطَى الْاسْمَ الْمَطْلُوقَ وَلَا يُسَلَّبُ الْمُطْلُوقُ الْاسْمَ .

(فَهْـنَـطْلُ)

« وَبَيْنَ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلَامَةٌ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَصَّوهُمْ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ

الرَّحِيمٌ) هَذِهِ مَوَالِدُ الْكُفَرِ مِنْهُمْ الْخ .

(فائدة) الإيمان والاسلام الشرعيان متلازمان في الوجود فلا يوجد أحدهما بدون الآخر بسل كليهما وجد إيمان صحيح معتد به وجد منه اسلام وكذلك العكس ولهذا قد يستغنى بذكر أحدهما عن الآخر لان أحدهما اذا أفرد بالذكر دخل فيه الآخر وأما اذا ذكرا معا فمقتربين أريد بالإيمان التصديق والاعتقاد وأريد بالاسلام الانقياد الظاهري من الاقرار باللسان وعمل الجوارح . ولكن هذا بالنسبة الى بطلان الإيمان اما الإيمان المطلق فهو أخص مطلقا من الاسلام وقد يوجد الاسلام بدونيه كما في قوله تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَقُومُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) فأنظر باسلامهم مع نفى الإيمان عنهم . وفي حديث جبريل ذكر المراتب الثلاث الاسلام والإيمان والاحسان فدل

رَجِيمٌ) وَطَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي قَوْلَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَتَفَقَّ بِمِثْلِ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مِنْ مَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَتَفَقَّ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَهُوَ صَلَاحُ الْحَدِيثِ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَتَفَقَّ مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلَ ، وَيَقْدَمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِأَهْلِ بَسْطَرِ

على أن كلا منها أخص مما قبله

يقول المؤلف أن من أصول أهل السنة والجماعة التي فارقوا بها من عداهم من أهل الزيغ والضلال أنهم لا يزرون بأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يطعنون عليه ولا يحملون له حقدا ولا بغضا ولا احتقارا فقلوبهم والسنتهم من ذلك كله براء ولا يقولون فيهم إلا ما حكاه الله عنهم بقوله (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) الآية . فهذا الدعاء الصادر ممن جاء بعدهم ممن اتبعوهم باحسان يدل على كمال محبتهم لأصحاب رسول الله وثنائهم عليهم وهم أهل لذلك الحب والكرام لفضلهم وسنتهم وعظيم سابقتهم واختصاصهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ولاحسانهم إلى جميع الأمة لأنهم هم المبلغون لهم جميع ما جاء به نبيهم فما وصل لأحد علم ولا خبر إلا بواسطتهم وهم يوقرونهم أيضا طاعة للأنبي صلى الله عليه وسلم حيث نهى عن سبهم والخص منهم ، وبين أن العمل القليل من أحد أصحابه يفضل العمل الكثير من غيرهم وذلك لكمال اخلاصهم وصادق إيمانهم .

وأما قوله (ويفضلون من أتفق من قبل الفتح ... وهو صلح الحديبية - وقاتل ، على من أتفق من بعده وقاتل) فقد ورد النص القرآني بذلك قال تعالى في سورة الحديد (لا يستوى منكم من أتفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله

وَكَانُوا ثَلَاثِينَ وَبِضْعَةَ عَشَرَ « اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ »
وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ
وَأَرْبَعِينَ وَبِشَهَادُونَ بِالْجَنَّةِ لَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَالْمَشْرُوعَةِ وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ .
وَيَقْرُونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ
عُمَرُ وَيُثَلَّثُونَ بِعُثْمَانَ وَيُرْتَعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كُلُّتِ عَلَيْهِ الْأَنْصَارُ
وَكَمَا أَجْبَعَ -

(الحسنی) وأما تفسير الفتح بصلح الحديبية فذلك هو المشهور وقد
صح أن سورة الفتح نزلت عقبيه . وسمى هذا الصلح فتحا لها ترتب
عليه من نتائج بعيدة المدى في عزة الاسلام وقوته وانتشاره ودخول
الناس فيه .

وأما قوله (ويقدمون المهاجرين على الانصار) فلان المهاجرين
جميعوا الوصفين النصره والهجرة ، ولهذا كان الخلفاء الراشدون
وبقية العشرة من المهاجرين وقد جاء القرآن بتقديم المهاجرين على
الانصار في سورة التوبة والحشر وهذا التفضيل انها هو للجملة على
الجملة فلا ينافي أن في الانصار من هو افضل من بعض المهاجرين .

وقد روى عن ابى بكر انه قال في خطبته يوم السقيفة (نحن
المهاجرون واول الناس اسلاما اسلمنا قبلكم وقدمننا في القرآن عليكم
فنحن الامراء وانتم الوزراء) .

وأما قوله (ويؤمنون بأن الله قال لاهل بدر الخ) فقد ورد أن
عمر رضى الله عنه لما اراد قتل حاطب بن أبى بلتعة وكان قد شهد
بدرًا لكتابه كتابا الى قريش يخبرهم فيه بمسير الرسول صلى الله عليه

الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ
اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا — بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ
أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ — أَيُّهُمَا أَمْلَلُ ؟ فَتَقَدَّمَ قَوْمُ عُثْمَانَ وَسَكَنُوا وَرَبَّعُوا
بِعَلِيٍّ وَقَدَّمَ قَوْمٌ —

وسلم فقال له الرسول « وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على اهل بدر
فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

واما قوله « وبأته لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة الخ »
فلاخباره صلى الله عليه وسلم بذلك ولقوله تعالى « لقد رضى الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » الآية . فهذا الرضى مانع من ارادة
تعذيبهم ومستلزم لآكرامهم ومثوبتهم .

واما قوله ويشهدون بالجنة لمن شهد له الرسول صلى الله عليه
وسلم كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة) اما
العشرة فهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن ابى
وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح ،
واما غيرهم فكتابت بن قيس وعكاشة بن محصن وعبد الله بن سلام
وكل من ورد الخبر الصحيح بأنه من اهل الجنة .

واما قوله (ويؤمنون بها تواتر به النقل عن أمير المؤمنين على
ابن أبى طالب وغيره من أن خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر
فقد ورد أن عليا رضى الله عنه قال ذلك على منبر الكوفة وسمعه منه
الجم الغفير وكان يقول (مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
علمنا أن افضلنا بعده ابو بكر وما مات ابو بكر حتى علمنا أن افضلنا
بعده عمر) .

واما قوله (ويثقلون ويربعون بعلى الخ) فمذهب جمهور
اهل السنة أن ترتيب الخلفاء الراشدين فى الفضل على حسب ترتيبهم

عَلِيًّا وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا ، لَكِنْ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُمَانَ
ثُمَّ عَلِيٍّ ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ — مَسْأَلَةُ عُمَانَ وَعَلِيٍّ لَيْسَتْ مِنَ
الْأَصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ لَكِنْ الَّتِي
يُضَلَّلُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ثُمَّ عُمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ وَمَنْ
طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارٍ أَهْلِهِ .
وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ وَيَحْفَظُونَ
فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ (أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي)

في الخلافة وهم لهذا يفضلون عثمان على عليٍّ محتجِّين بتقديم الصحابة
عثمان في البيعة على عليٍّ وبعض أهل السنة يفضل عليا لانه يرى ان
ما ورد من الآثار في مزايا عليٍّ ومناقبه أكثر . وبعضهم يتوقف فسى
ذلك وعلى كل حال فمسألة التفضيل ليست كما قال المؤلف من مسائل
الأصول التي يضل فيها المخالف وانما هى مسألة فرعية يتسع لها
الخلافا ، وأما مسألة الخلافة فيجب الاعتقاد بأن خلافة عثمان كانت
صحيحة لانها كانت بمشورة من الستة الذين عينهم عمر رضى الله
عنه ليختاروا الخليفة من بعده ، فمن زعم ان خلافة عثمان كانت باطلة
وان عليًّا كان أحق بالخلافة منه فهو مبتدع ضال يقلب عليه التشيع
مع ما في قوله من ازراء بالمهاجرين والانصار .

أهل بيته صلى الله عليه وسلم هم من تحرم عليهم الصدقة وهم آل
عليٍّ وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وكلهم من بنى هاشم ويلحق بهم
بنو المطلب لقوله عليه السلام (انهم لم يفارقونا جاهلية ولا اسلاما)
فأهل السنة والجماعة يرمون لهم حرمتهم وقرابتهم من رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما يحبونهم لاسلامهم وسبقهم وحسن بلائهم في نصرة
دين الله عز وجل . وغدير خم (بضم الخاء) قيل اسم رجل صباغ اضيف

وَقَالَ أَيضاً لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ . وَقَدْ اسْتَكَى إِلَيْهِ أَنْ بَعْضُ قُرَيْشٍ
يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ - فَقَالَ (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُجْبُوكُمْ
لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي) وَقَالَ (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي
إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي
هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) .

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ
وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ خُصُوصاً خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمُّ
أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاصِدَةُ عَلَى أَمْرِهَا وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ

إليه الغدير الذي بين مكة والمدينة بالجحفة . وقيل خم اسم غيضة هناك
نسب إليها الغدير ، والغيضة الشجر الملتف .

وأما قوله عليه السلام لعمري (والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى
يجبوكم لله ولقرباتي) فمعناه لا يتم إيمان أحد حتى يحب أهل بيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أولاً لأنهم من أوليائه وأهل طاعته
الذين تجب محبتهم وموالاتهم فيه . وثانياً لمكانهم من رسول الله صلى
الله عليه وسلم واتصال نسبهم به .

أزواجه صلى الله عليه وسلم هن من تزوجهن بنكاح فأولهن
خديجة بنت خويلد رضى الله عنها تزوجها بمكة قبل البعثة وكانت سنه
خمسا وعشرين وكانت هي تكبره بخمسة عشر عاماً ولم يتزوج عليها
حتى توفيت وقد رزق منها بكل أولاده الا إبراهيم وكانت أول من آمن به
وقواه على احتمال أعباء الرسالة وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين
من خمس وستين سنة فتزوج بعدها سودة بنت زمعة وعقد على
عائشة رضى الله عنها وكانت بنت ست سنين حتى اذا هاجر الى المدينة
بنى بها وهى بنت تسع . ومن زوجاته أيضاً أم سلمة رضى الله عنها
تزوجها بعد زوجها أبى سلمة وزينب بنت جحش تزوجها بعد تطليق

الْعَالِيَةُ ، وَالصَّدِيقَةُ بِنْتُ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَضْلٌ عَائِشَةُ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّلَعِ) .

وَيَتَّبِعُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبَغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةَ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَيَقُولُونَ إِنَّ هَذِهِ الْأَنَارَ الْمُرْوِيسَةَ فِي مَسَاقِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَاذِبٌ وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنَقَصَ وَغَيَّرَ عَنْ وَجْهِهِ وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْدُورُونَ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كِبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمُ السَّيِّئَاتُ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الصَّنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ .

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلٍ أَخَذَ ذَهَبًا بِمَنْ بَعْدَهُمْ

زيد ابن حارثة لها او على الاصح زوجه الله اياها . وجويرية بنت الحارث وصفيّة بنت حُثَيِّ وحفصة بنت عمر وزينب بنت خزيمة وكلهن امهات المؤمنين ، وهن ازواجه صلى الله عليه وسلم في الآخرة وافضلهن على الاطلاق خديجة وعائشة رضى الله عنهما .

يريد ان اهل السنة والجماعة يتبرؤون من طريقة الروافض التي هي الغلو في عَلِيِّ واهل بيته وبغض من عداه من كبار الصحابة وسبهم وتكفيرهم . واول من سبهم بذلك زيد بن عَلِيٍّ رحمه الله لانهم لما طلبوا منه ان يتبرأ من امامة الشيخين ابي بكر وعمر لبياعموه ابي ذلك فنفرتوا عنه فقال رفضتموني ، فمن يومئذ قيل لهم رافضة . وهم

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ أَوْ أُنْسَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ أَوْ عُفِيَ لَهُ يَفْضُلُ سَابِقَتِهِ أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كَثُرَ بِهِ عَنْهُ . فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ فَكَيْفَ الْأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ .

فرق كثيرة منهم الغالية ومنهم دون ذلك .

ويتبرؤون كذلك من طريقة النواصب الذين ناصبوا اهل بيت النبوة العداء لاسباب وامور سياسية معروفة ولم يعد لهؤلاء وجود الآن .

ويمسك اهل السنة والجماعة عن الخوض فيما وقع من نزاع بين الصحابة رضى الله عنهم لاسباب ما وقع بين عَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ بعد مقتل عثمان وما وقع بعد ذلك بين عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ وَعِمْرُو بن العاص وغيرهم ويرون ان الآثار المروية في مساوئهم اكثرها كذب او محرف عن وجهه ، واما الصحيح منها فيعذرونهم فيه ويقولون انهم متأولون مجتهدون ، وهم مع ذلك لا يدعون لهم العصمة من كبائر الذنوب وصغارها ولكن ما لهم من السوابق والفضائل وصحة رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه قد يوجب مغفرة ما يصدر منهم من زلات فهم بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير القرون وفضلها ومَدَّ اَحدُهم أو نصيفه افضل من جبل أُخْدِرَ ذهباً يتصدق به من بعدهم فسيئاتهم مغفورة الى جانب حسناتهم الكثيرة .

يريد المؤلف رحمه الله ان ينفي عن الصحابة رضى الله عنهم ان يكون اَحدُهم قد مات مصراً على ما يوجب سخط الله عليه من الذنوب بل اذا كان قد صدر الذنب من اَحدُهم فعلاً فلا يخلو عن اَحد هذه

ثُمَّ إِنَّ الْقَدَرَ الَّذِي يُنَكِّرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزَرَ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ
فَسَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ
وَالْهَجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ وَالْعِلْمِ النَّائِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَمَنْ نَذَرَ فِي سِيرَةِ
الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنْ الْفَسَائِلِ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ
خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ . لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ ، وَأَنَّهُمْ الصَّفْوَةُ
مِنْ مَرُوفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ .
وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْتَّصِدِيقِ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي
اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ .

الامور التي ذكرها فاما ان يكون قد تاب منه قبل الموت او اتى
بحسنات تذهب وتحوه او غفر له بفضل سالفته في الاسلام كما غفر
لاهل بدر واصحاب الشجرة او بشفاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم اسعد الناس بشفاعته واحقهم بها او ابتلى ببلاء في الدنيا في نفسه
او ماله او ولده فكفر عنه به . فاذا كان هذا هو ما يجب اعتقاده فيهم
بالنسبة الى ما ارتكبه من الذنوب المحققة فكيف في الامور التي
هي موضع اجتهاد والخطأ فيها مغفور ، ثم اذا تيسر هذا السذى
اخطاوا فيه الى جنب ما لهم من محاسن وفضائل لم يعد ان يكون
تطرة في بحر . فالله الذى اختار نبيه صلى الله عليه وسلم هو الذى
اختار له هؤلاء الاصحاب ، فهم خير الخلق بعد الانبياء والصفوة المختارة
من هذه الامة التي هي افضل الامم .

ومن تأمل كلام المؤلف رحمه الله في شأن الصحابة عجب اشد
العجب مما يرميه به الجهلة المتعصبون وادعائهم عليه انه يتهم على
اقدارهم ويغض من شأنهم ويخرق اجماعهم الى آخر ما قالوه من
مزاعم ومفترسات .

وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة ، ودلت الوقائع قديما

فِي أَنْوَاعِ الْمُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأَثِيرَاتِ وَالْمَأْثُورِ
عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ فِرْقِ الْأُمَّةِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ .

وحديثا على وقوع كرامات الله لاوليائه المتبعين لهدى انبيائهم ،
والكرامة امر خارق للمادة يجريه الله على يد ولى من اوليائه مموّنة
له على امر دينى او دنيوى ، ويفرق بينها وبين المعجزة بأن المعجزة
تكون مقرونة بدعوى الرسالة بخلاف الكرامة .

ويتضمن وقوع هذه الكرامات حكم ومصالح كثيرة اهمها :

اولا : انها كالمعجزة تدل اعظم دلالة على كمال قدرة الله ونفوذه
مشيئته ، وانه فعال لما يريد ، وان له فوق هذه السنن والاسباب
المعتادة سننا اخرى لا يتقن عليها علم البشر ، ولا تدركها اعمالهم .
فمن ذلك قصة اصحاب الكهف ، والنوم الذى اوقعه الله بهم تلك المدة
الطويلة مع حفظه تعالى لاجسادهم من التخلل والفناء . ومنها ما اكرم
الله به مريم بنت عمران من ايصال الرزق اليها وهى فى المحراب حتى
عجب من ذلك زكريا عليه السلام ، وسأله : اتنى لك هذا ، وكذلك
حملها بعبسى بلا اب وولادتها اياه ، وكلامه فى المهد وغير ذلك .

ثانيا : ان وقوع كرامات الاولياء هو فى الحقيقة معجزة للانبياء ،
لان تلك الكرامات لم تحصل لهم الا ببركة متابعتهم لانبيائهم وسيرهم
على هديهم .

ثالثا : ان كرامات الاولياء هى البشرى التى عجلها الله لهم فى
الدنيا فان المراد بالبشرى كل امر يدل على ولايتهم وحسن عاقبتهم
ومن جملة ذلك الكرامات .

(مَضَلُّ)

ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتَّبَعَ آثارَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِلًا وَظَاهِرًا وَاتَّبَعَ سَبِيلَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَاتَّبَعَ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ . وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهَدَى هَدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُؤَثِّرُونَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ ، وَيَقْدُمُونَ هَدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَدَى كُلِّ أَحَدٍ ، وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الْإِجْمَاعُ وَضِدُّهَا الْفِرْقَةُ ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ ، وَالْإِجْمَاعُ هُوَ الْأَصْلُ الثَّلَاثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ ، وَهُمْ يَزِنُونَ بِهِذِهِ الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالْأَدِينِ . وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الْاِخْتِلَافُ وَانْتَشَرَ فِي الْأُمَّةِ .

هذا ولم تزل الكرامات موجودة لم تنقطع في هذه الامة الى يوم القيامة والمشاهدة اكبر دليل ، وانكر الفلاسفة كرامات الاولياء كما انكروا معجزات الانبياء ، وانكر الكرامات ايضا المعتزلة وبعض الاشاعرة بدعوى التباسها بالمعجزة ، وهى دعوى باطلة ، لان الكرامة كما قلنا لا تقتصر بدعوى الرسالة .

لكن يجب التنبه الى ان ما يقوم به الدجاجة والمشعوذون من اصحاب الطرق المبتدعة الذين يسمون انفسهم بالمنصوفة من اعمال ومخاريق شيطانية كدخول النار وضرب انفسهم بالسلاح والامساك بالثعابين والاخبار بالغيب الى غير ذلك ليس من الكرامات فى شيء

(فصل)

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا
تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ ، وَيُزَوِّنُونَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ مَعَ
الْأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ مُجَارًا . وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ وَيُذَيَّبُونَ
بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْمُؤْمِنُ
لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » وَتُسَبِّحُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ . وَقَوْلِهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ
الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالشَّهْرِ »
وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرِّخَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ
وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَكَاسِنِ الْأَعْمَالِ وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى
قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا »
وَيَنْذِبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ،

فإن الكرامة انما تكون لاولياء الله بحق وهؤلاء اولياء الشيطان .

قوله (ثم من طريقة اهل السنة الخ) هذا بيان لمنهج اهل السنة
والجماعة في استنباط الاحكام الدينية كلها ، اصولها وفروعها بعدد
طريقتهم في مسائل الاصول — وهذا المنهج يقوم على اصول ثلاثة :
اولها — كتاب الله عز وجل الذي هو خير الكلام وأصدقته ، فهم
لا يقدمون على كلام الله كلام احد من الناس . وثانيها — سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما اثر عنه من هدى وطريقة لا يقدمون على
ذلك هدى احد من الناس . وثالثها — ما وقع عليه اجماع الصدر الاول
من هذه الامة قبل التفرق والانتشار وظهور البدعة والمقاتلات ، وما
جاءهم بعد ذلك مما قاله الناس وذهبوا اليه من المقالات ووزنوها بهذه
الاصول الثلاثة التي هي الكتاب والسنة والاجماع ، فان وافقها قبلوه وان
خالفها ردوه ايا كان قائله وهذا هو المنهج الوسط والصرط المستقيم

وَتَعْمَلُوا عَمَّنْ ظَلَمَكُمْ ، وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ
وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالزَّفَاقِ بِالْمَلُوكِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ وَالْبَغْيِ وَالْإِسْطِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقِّ أَوْ
بَغْيِ حَقِّ وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ سَفْسَافِهَا وَكُلِّ مَا يَقُولُونَهُ
وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ فَإِنَّهَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَطَرِيقَتِهِمْ
هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكِنِ لَمْ
أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَقْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ
فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ . وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ
« هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي » صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ
بِالْإِسْلَامِ الْمُحْفِظِينَ الْخَالِصِينَ عَنِ الشُّبُوبِ ، هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ،

الذي لا يضل سالكه ولا يشقى من اتبعه ، وسط بين من يتلاعب
بالنصوص فيتأول الكتاب وينكر الأحاديث الصحيحة ولا يعبا باجماع
السلف ، وبين من يخطب خطب عشواء فيقبل كل رأى ويأخذ بكل قول
لا يفرق في ذلك بين غث وسمين وصحيح وسقيم .

قوله (ثم هم مع هذه الأصول الخ) جمع المؤلف في هذا الفصل
جَمَاعَ مكارم الاخلاق التي يتخلق بها أهل السنة والجماعة من الامر
بالمعروف وهو ما عرف حسنه بالشرع والعقل والنهى عن المنكر
وهو كل قبيح عقلا وشرعا على حسب ما توجهه الشريعة من تلك
الفريضة كما يفهم من قوله عليه السلام « من رأى منكم منكرا فليغيره
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف
الايمان » ومن شهود الجمع والجماعات والحج والجهاد مع الامراء ايا
كانوا لقوله عليه السلام « صلوا خلف كل بر وفاجر » ومن النصيح
لكل مسلم لقوله عليه السلام « الدين النصيحة » ومن فهم صحيح
لها توجهه الاخوة اليمانية من تعاطف وتواد وتناصر كما في هذه
الاحاديث التي يشبه فيها الرسول المؤمنين بالبنين المرصوص المتناسك

وَمِنْهُمْ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ ، وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الْهُدَى وَمَصَابِيحُ الدُّجَى أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْتُورَةِ وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ ، وَمِنْهُمْ الْأَبْدَالُ ، وَمِنْهُمْ أُنْمَةُ الدِّينِ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ ، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » .

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنا مِنْهُمْ وَأَنْ لَا يَزِيغَ قُلُوبُنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

اللبنات او بالجسد المترابط الاعضاء ومن دعوة الى الخير
والى مكارم الاخلاق ، فهم يدمون الى الصبر على المصائب والشكر
على النعماء والرضا بقضاء الله وقدره الى غير ذلك مما ذكره .

واما قوله (وفيهم الصديقون الخ) فالصديق صيغة مبالغة من
الصدق يراد به الكثير التصديق وأبو بكر رضى الله عنه هو الصديق
الاول لهذه الامة ، واما الشهداء فهو جمع شهيد وهو من قتل فى
المعركة ، واما الابدال فهم جمع بدل وهم الذين يخلف بعضهم بعضا
فى تجديد هذا الدين والدفاع عنه كما فى الحديث « يبعث الله لهذه
الامة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها امر دينها » والله اعلم .

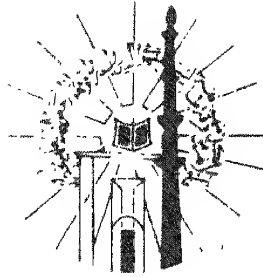
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الكلام على البسمة والترجيح بين الخلافات فيها	٥
تفسير الحمد والمدح والفرق بينهما	٧
الهدى — معناه وما يوصف به الرسول وما لا يوصف	٨
لا اله الا الله — معناها ومكانها من الدين	١٠
الصلاة على الرسول — معناها اذا كانت من الملائكة او لادميين	١٢
تعريف الفرقة الناجية وانها باقية الى يوم القيامة	١٣
تفسير الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله	١٦
التحريف والتعطيل معناهما وانواعهما	١٦
تفسير الالحاد فى الصفات وانواعه	١٨
لا يجوز قياس الله سبحانه بخلقه	٢٠
سورة الاخلاص تضمنت صفات الله وهى تعدل ثلث القرآن	٢٥
آية الكرسي تفسيرها واثباتها للصفات	٢٨
هو الاول والآخر والظاهر والباطن ، وتفسيرها	٣٠
العلم صفة الله قائم بذاته	٣٣
اثبات صفتى السمع والبصر لله ، (ليس كمثله شئ)	٣٥
الارادة والمشيئة — الكونية والشرعية	٣٧
اثبات صفة الحب لله وبيان ما يحب ومن يحب	٣٩
الجواب عن آية (ومن يقتل مؤمنا متعمدا)	٤٣
(وجاء ربك) الرد على من زعم انه من المجاز	٤٥
اثبات الوجه لله والرد على المنكرين	٤٦
اثبات اليد لله والرد على المنكرين	٤٧
اثبات العين لله والرد على المنكرين	٤٨

الصفحة	الموضوع
٤٩	اثبات السمع لله تعالى والرد على المنكرين
٥٨	(وما كان معه من اله) توضيح ذلك
٦٠	سبعة آيات في الاستواء على العرش والكلام عايناً
٦١	كلام جيد في مسألة المكان لله تعالى
٦٣	آيات في اثبات علو الله على خلقه
٦٦	(ما يكون من نجوى) النخ — معناها ومعنى المحبة
٦٧	اثبات صفة الكلام لله والرد على المخالفين
٧١	رؤية المؤمن لربه يوم القيامة والرد على النفاة
٧٣	مباحث عامة حول آيات الصفات
٧٦	السنة تؤيد القرآن في الصفات — احاديث نزوله تعالى
٧٩	فرجه سبحانه بتوبة عبده وضحكه
٨٤	حديث الجارية كونه تعالى في السماء
٨٨	ايمان اهل السنة بما تقدم ، جعلهم الوسط بين الطوائف
٩٠	افعال العبادة ومذهب الحق فيها
٩٤	بيان أن علوه تعالى لا ينافي معيته
٩٩	وجوب الايمان بما اخبر به الرسول مما يكون بعد الموت
١٠٤	للرسول (ص) ثلاث شفاعات وبيان اصحابها
١٠٧	درجات الايمان بالقدر ، خيره وشره ، وبياناتها
١١١	كلام جيد في مسألة افعال العبد مع القدر .
١١٣	الايمان قول وعمل يزيد وينقص
١١٦	سلامة قلوب اهل السنة للصحابة جسيما
١٢٠	اهل السنة يحبون اهل البيت ويتبرؤن ممن يعاديهم
١٢٢	امساك اهل السنة عن الخوض فيما شجر بين الصحابة
١٢٤	من اصول اهل السنة التصديق بكرامات الانبياء
١٢٦	طريقة اهل السنة اتباع آثار النبي بالمال والجاه
١٢٧	اهل السنة بأدركن بالزوجة ، ويتبرون من المالكين
	ويستبرون على البلاء
١٢٨	اهل السنة وأدركن من الزوالين وحالة الارحام

دار الإعتصام
للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة



من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

د. عبد الله بن عبد
اللطيف والنسور والقريني
القائم